وحيُ السُنَّةِ النَبَويةِ حقيقةٌ قرآنيَّة

﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ "النساء: ٨٠".

القرآن الكريم

لا ينفصلان

السنة النبوية

بحث

مُصطفى طالب مُصطفى

وَحيُ السُنَّةِ النَّبَوِيَّة حَقِيقَةٌ قُرآنِيَّة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمْ

مقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدِّين, وأتمَّ علينا النِّعمة وجعل أُمَّة الإسلام خيرَ أُمَّة, وشرَّفها بِبِعثَة خير البَشر وَحَفِظَ دينها بحفظ كتابها الكريم وسُنَّة نبيها ﷺ, فقيَّد الله العلماء الأجلاء لِضَبْطِها – السُنَّة – وإحكامِها فقاموا على ذلك أعظم القيام, حتى شهد بذلك أعداء الإسلام فمما قاله المستشرق البريطاني "Bernard Lewis"[1] لم يصبق التاريخ لا في القديم ولا في الحديث ما وصل إليه المسلمون في تلك الحقبة في شدة التوثيق من تمحيص الروايات والتأكد من صحة نسبتها إلى قائلها, وبعضهم قدَّم الأدلة المنطقية على ذلك[2] حيث صرَّح بأن نسبة الأحاديث عن صغار الصحابة تفوق بشكل كبير نسبتها عن كبارهم ولو كان علماء الحديث يزيفون الأسانيد لكانوا نسبوها إلى كبار الصحابة فذلك أدعى للقبول عند العامة.

ونحن في هذا الموضوع لن نتكلم عن مكانة السُنَّة **فيكفي أن تَعرِفَ مَكَانَةَ صَاحِبِهَا لِتَعِيَ قِيمَتَهَا وَأهَمِيَّتها**, كما أنَّنا لن نتكلم عن حُجِّيتها من حيث تدوينها **والأمر بتبليغها**, بل سنناقشُ اللَّبِنَة الأولى التي يقوم عليها الإيمان بالسُنَّة, فإن الإيمان بالسُنَّة قائم على مقدمتين: الأولى هي مشروعيةِ الإيحاء التشريعي خارج الكتب الإلهية المنَزَّلة, والثانية إثبات أنَّ السُنَّة النبوية شريعة ربَّانية, **وهذا ما سنبينه من القرآن الكريم – إن شاء الله –** , وذلك لندحض افتراء من غلا في إعراضِه وفرَّط في اتِّباعِه فزعم أن النبي محمد ﷺ لم يتكلم من أمور الوحي إلا بالقرآن, وأنَّ إيمان المسلمين بسُنَّته ﷺ شرك بالله عز وجل !

---

[1] Islam In History, bernard lewis PP 104- 105

[2] The Isnad in Muslim Tradition, robson pp 26

مع الأخذ بالإعتبار أن كثيراً ممن يقول هذا الكلام ويَرُد سُنَّة خير الأنام قد تأثر بشُبُهاتٍ عصفت في نفسه بتلك الثوابت التي يجب على المسلمين الإيمان بها, فطفق يتكلم بمنطلق هذه الشبهات فكان ممن: ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً [الكهف : 104]

ولا تعجب أخي الكريم إن ظَهَر على وجه ذلك المنكر للسُنَّة بعض الحميَّة لهذا الدين, وذلك لأنه يظن أن كمال التوحيد هو في رد السُنَّة كما كان يظن طوائف من المتكلمين أن كمال التوحيد رد صفات الله الثابتة بالقرآن والسنة.

فليس جميع من تكلم في هذا الباب نيَّته الطعن بالدين الإسلامي, **وهذه نقطة مهمة جداً**.

ثم فالتعلم أخي المسلم أن الحرب على الإسلام قديمة حديثة يقودها المستشرقون من رهبان اليهود والنصارى بدعم من جهات كُبرى يهمها أو يؤرقها التمكن الإسلامي في الأرض, لأنها تعي تماماً أنَّ هذا التمكُّن سيعصف بهيمنتها على البشرية وسياساتها في نهب خيرات البلاد وثرواتها الطبيعية, لذلك فلا تعجب إن وجدت (متخصص) في علوم القرآن من المستشرقين وهو لا يعرف قراءة الآية قراءةً تجويدية بل ويخطيء في بعض الكلمات القرآنية العربية !

هؤلاء حاولوا جاهدين النيل من القرآن الكريم ولكن لم ولن يستطيعوا ذلك لقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9], فبحثوا في تراثنا الإسلامي العريق على مواطن القوة في ديننا الإسلامي الحنيف فعملوا على هدم أركانه في نفوس المسلمين, وبذلك يسيطرون على أمة الإسلام, لأنها أُمَّة تقوى بالتمسك بدينها وتضعف بابتعادها عنه.

فعلم هؤلاء أن النبي الكريم ﷺ هو قدوة المسلمين وأسوتهم فعملوا على تشويه صورته, ولتحقيق ذلك حاولوا اسقاط سُنَّته التي حوت سيرته العطرة وتعاليمه المبهرة, وذلك تمهيدا لإسقاط حُرمَة القرآن الكريم, فحين يئسوا من تحريفه لفظياً عمدوا على تحريف معانيه حتى قيل أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان – وهي مقولة صحيحة – إذا النص القرآني يجب أن يتم تنقيحه ليتماشى مع العصر الحديث !.

قلت: بل الزمان والمكان لا يصلح إلا بالإسلام الذي نزل على النبي ﷺ, ولله در الإمام مالك ابن انس حيث قال[3] " وَلَا يُصْلِحُ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصْلَحَ أَوَّلَهَا"

[3] الشفا بتعريف حقوق المصطفى, القاضي عياض جـ 2 صـ 88

كما أنَّ هناك الكثير من (مثقفي) العرب قد خُدِعوا بمصطلحات يستعملها أولئك (الأقزام) الطاعنين في دين الإسلام, مثل قولهم: "البحث المجرد" و "التنوير" و "التطور والحداثة" و "تحرير العقل" و "النقد الأدبي" وغيرها من المصطلحات ...

فطفقوا يطعنون في الإسلام من حيث يريدون الإصلاح, حيث أنهم ظنُّوا أن تخلف المسلمين راجع إلى تمسكهم بالثوابت التي قام عليها دين المسلمين قديماً وحديثاً, في حين أن الحقيقة التخلف تكمل في تخلف المسلمين عن التمسك بالهدي الربَّاني الذي وضعه الله ﷻ للبشرية, لا في تمسكها به !

قال تعالى: فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ [الأعراف : 169]

وجاء في التفسير الميسر[4] "فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم بَدَلُ سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم, فقرءوه وعلموه, وخالفوا حكمه, يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها; وذلك لشدة حرصهم ونَهَمهم, ويقولون مع ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيًا على الله الأباطيل, وإن يأت هؤلاء اليهودَ متاعٌ زائلٌ من أنواع الحرام يأخذوه ويستحلوه, مصرِّين على ذنوبهم وتناولهم الحرام, ألَمْ يؤخذ على هؤلاء العهود بإقامة التوراة والعمل بما فيها, وألا يقولوا على الله إلا الحق وألا يكذبوا عليه, وعلموا ما في الكتاب فضيعوه, وتركوا العمل به, وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك؟ والدار الآخرة خير للذين يتقون الله, فيمتثلون أوامره, ويجتنبون نواهيه, أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون دنيء المكاسب أن ما عند الله خير وأبقى للمتقين؟"

قلت: وهذا ما فعله المسلمون بالضبط مع كتابهم, فقد وافقوا اليهود ... إلا ما رحم ربي.

كما تجدر الإشارة ألى أن هناك بعض التحركات الفكرية في التاريخ الإسلامي التي خالف أتباعها دين المسلمين, فتجد أنَّ هؤلاء الخلف يتمسكون بما قاله سلفهم في قديم الزمان ولكن بثوب آخر, فإن الباعث عند القدماء يتكون من حرصهم على التمسك بالدين الصحيح والفتنة الكلامية والفلسفية التي تعرضوا لها فأثرت في بعض تصوراتهم.

[4] التفسير الميسر: نخبة من العلماء ص 172

لكن بعض المعاصرين قد استغل وجود هذه الأفكار في التاريخ الإسلامي فلم يكتفي بإحيائها من جديد بل ادَّعى أنها من التراث الإسلامي ! في حين أنها دخيلة بغيضة عند سلف الأمة وأئمتها !

فمما يتعلق بموضوع البحث فإن الطوائف الكلامية[5] أنكرت أحاديث الآحاد لأعتبار أنها (ظنيَّة) كما يزعمون وبالتالي قالوا أننا لا نقبل بأحاديث الآحاد في العقائد لأن العقيدة مبناها على اليقين, وقد تجد المعاصرين يردون أحاديث الآحاد لأنها ظنيَّة, كما أنَّهم اتخذوا من هذه الظاهرة تمهيداً لإنكار بعض السُنَّة في سبيل إنكارها بالكلية عبر التشكيك فيها وهذا واقع ومشاهد.

ووجد من يقول أن القرآن الكريم مخلوق من مخلوقات الله, والباعث عندهم لهذا القول هو نفي النقص عن الله, مع أنهم معظمون للقرآن الكريم وتجدهم يتكلمون عن إعجازه الغيبي والتشريعي مثلاً, بينما هؤلاء فقد اتخذوا من هذا القول شمَّاعة للحَط من قدر القرآن الكريم في نفوس أتباعهم, فقالوا هو مخلوق .. أي النص مخلوق .. أي ليس له قدسية .. إذاً لا يجب عزله عن (النقد الأدبي), وبعضهم قال أنه نص تاريخي, وبعضهم قال أنه يحق لكل عصر أن يفهمه بلغة عصره ! فهذه المفارقة بين السلف والخلف !

وأحيانا قد يعترض البعض عما حدث في التاريخ الإسلامي من التعصب المذهبي الذي لا يرضاه أحداً من الأمة, فيستغله ذلك (المتنور) لرد المذاهب الإسلامية بدعوة أنها إغلاق للعقل[6], وغيرها من الأمور...

وأحيانا ينظر ذلك (المتنور) إلى بعض الإسرائيليات التي في كتب التفاسير غيرها فيرى أنها متناقضة مع الدين الإسلامي فبدل أن يقول – على الأقل- يجب تنقيح كتب التفسير يقوم بردها جملة واحدة ! في حين أن بعضها خاليا مما أكره ! بل كما أن بعضهم نص على انتقاء الصحيح فإن البعض الآخر لم ينص وجمع كل شيء متعلق بالمسألة التي يريدها وكتب لنا الإسناد لنقوم نحن بأخذ ما صح وترك ما لم يصح !
بل إن السلف رحمهم الله قاموا بوضع قواعد بخصوص الإسرائيليات بناءً على كلام الرسول ﷺ حيث قال[7] "لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا: آمنَّا باللهِ وما أُنزِلَ إلينا. الآية".

وبناءً على أن كتب أهل الكتاب محرَّفة ففيها الحق وفيها الباطل, قالوا أن المرويات الإسرائيلية على ثلاثة أقسام[8]: ما وافق الإسلام قبلناه واستشهدنا به. ما خالف الإسلام رددناه. المسكوت عنه لا نتكلم به.

[5] كما أن هناك من الطوائف من أنكر قسم كبير من السُنَّة لأنه أتى عن بعض الصحابة ممن شارك مع الباطل (بزعمهم) ضد الحق في الفتنة التي جرت في بداية التاريخ الإسلامي, راجع كتاب الفتنة بين الصحابة للشيخ محمد حسان.

[6] علوم الإسلام تعتمد على العقل بشكل كبير لكن في مجاله, فعلم أصول الفقه وعلم الفقه وعلم أصول الحديث وخاصة علم العلل هذه علوم عقلية بالدرجة الأولى.

[7] أبو هريرة رضي الله عنه: صحيح البخاري (4485) (7362) (7542)

فكما ترى أن السلف اعتنوا بحال هذه المرويات فلم يتركوها ليأتي هذا المتنور وبعد اكثر من ألف عام يريد رد كتب التراث بحجة أن فيها اسرائيليات !

فالسلف رحمهم الله قد يردون الكثير من الاسرائيليات ولكن ليس لأنها اسرائيليات فقط بل لأنها دخيلة وتخالف أصول الإسلام وثوابته.

لذلك قد يشترك هذا المعاصر والسلف الصالح في التشنيع على أمر ما – كردهم على التعصب المذموم وردوا قول من قال بخلق القرآن وفصلوا القول في الإسرائيليات – ولكن المقاصد والغايات تختلف, فالسلف يشنعون عليها لكونها دخيلة, وهذا يشنع عليها لكونها الإسلام وبالتالي يبطل الإسلام أو بعض ركائزه وثوابته التي يسميها (الموروثات) !.

فهؤلاء وأمثالهم وإن حَسُنت نية بعضهم لا يعني الغفلة عن قُبح مقالتهم, وهذه قيمة منهجية مهمة جداً فإننا وإن عذرنا القائل بالاعتبارات الشرعية فإنَّه لا يعني بالضرورة قبول مقالته, لذلك فإن وجدت في كتابي هذا من طعن مباشر أو غير مباشر أو دخول إلى النيات, فالتعلم إننا نحاكم اللازم من الأقوال ولا نحاكم نية القائل فهذه خارج طاقة العباد, بل إنَّ الأمر موكول إلى رب العباد القائل في محكم التنزيل: قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران : 29], والقائل: وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى [طه : 7]

ثم ولِأن الهدف من هذا البحث هو إصابة الحق **والدعوة إليه** فإنني تعرضت لبعض المباحث المهمة في هذا الباب عسى أن تشفع بإذنه تعالى في إصابة الحق, فاللهم يسر لنا سُبُل الحق واجعلنا هادين للحق مهديين بالحق على بصيرة من الحق, يا رب العالمين.

ولا يَسَعُنِي إلا أن أقول بقولهﷻ: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص : 56]

كتبه أخوكم / مصطفى طالب مصطفى

شبكة ومنتديات شباب الأمة

[8] ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, مقدمة تفسيره جـ 1 ص 31

تمهيد

لقد كشف لنا القرآن الكريم عن رحمة رب العالمين حيث خلق الإنسان في أحسن تقويم وأودع فيه الفطرة السَّوية وزَوَّده بالآلات الحسيَّة والمعنويَّة التي من خِلالها يَتَعَرَّف على الحق المبين, وعندما كان البشر مفطورين على عبادة الإله الخالق والتَطَلُّع إلى معرفته والأُنسِ بكماله, وعندما كانت عقولهم المجرَّدة قَاصِرَةٌ عَن تَحقِيقِ هذا المطلب النبيل والمقصد العظيم, كان من رحمة الله أن أرسل الرُّسلَ وأنزل عَلَيهِمُ الكُتبَ وأيَّدهم بالميزان الصحيح لتعيش البشرية حياة هنيَّة معصومة من الوساوس الشيطانية, وكل ذلك لإثبات الحُجَّة على وجوب عبادته وحده دون ما سواه.

قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحديد : 25], قال جَلَّ مِن قائِل: رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً [النساء : 165]

فالنبوَّة ضرورة إنسانية بل إنني أقولها صراحة, لولا وحي السماء إلى الأنبياء والرُّسل لما كان هناك معنى للخير بألوانه كالإحسان والصدق والبر والبذل, ولما كان هناك معنًى للحياة ...

لأن المادة – الطبيعة – لا تنتج القيم الثابتة التي يُحاكَم العالَم إليها, فإنَّها لن تستطيع تقوين الحياة الراقية, إضافة إلى طبيعة الإنسان الميَّالة إلى الخير تارة وإلى الشر تارات !!

فكان لِزاماً على العالم أن يكون فيه قِيَم ثابتة ودعائم راسخة متجذرة في الفِطَر ومُصَدَّقة مِن قِبَل الأثر, فمن أعظم مهام الرُسل بعد التوحيد هو: **إحقاق السلام والأمان الداخلي والخارجي في الأرض**, قال النبي ﷺ[9]: إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخلاقِ.

وما أجمل ما قاله الندوي في توصيف هذه المِنحَة الرَبَّانية: "إن المدنية لا تدين لأي طائفة من طوائف البشر كما تدين لَهذه الطائفة الربانية, إنها تدين لَها في حياتها وبقائها, وفي شَرَفها وكرامتها, وفي اعتدالها وسدادها, فلولا هم – صلى الله عليهم – لغرقت سفينة الإنسانية بما فيها من علوم وتراث حضاري وفلسفة وحكمة, ولتحولت الأجيال البشرية إلى قطعان من السائبة أو الوحوش, لا تعرف رباً ولا تعرف ديناً ولا خُلُقاً, ولا تعرف رحمة ولا

[9] أبي هريرة رضي الله عنه: صحيح الأدب المفرد (207), تنبيه: الإمام البخاري عنده أكثر من كتاب في الحديث, فعنده المعروف بصحيح البخاري وهذا اشترط فيه أصح الأحاديث وعنده الذي بين أيدينا (الأدب المفرد) وهذا جمع فيه ما صح وما لم يصح بما يخص الموضوع المطروح, نقول هذا الكلام لأن أحدهم قد يستشهد بحديث ويقول لك رواه البخاري ويكون ضعيفا فيريد أن يلبس على الناس بأن البخاري يروي الضعيف في كتابه.

محبة, ولا تعرف معنى أسمى وغاية أعلى من العلف والرتع, ومن الماء والكلأ, إن كل ما يوجد في هذا العالم من المعاني الإنسانية الكريمة, والأحاسيس الرقيقة اللطيفة, والأخلاق العالية الفاضلة, والعلوم الصحيحة النافعة, ومن القوة والعزم على محاربة الباطل والفساد, إنما يرجع فضله وينتهي تاريخه إلى وحي السماء, وتعليمات الأنبياء وتبليغهم ودعوتهم وجهادهم"[10].

مما يدل بالضرورة على أن يكون الأنبياء في هم أكمل البشر لأنهم أُسوَة البشر, وذلك مقتضى طبيعة البشر المتأثرة بالأكمل أو بالذي تراه قدوة لها, وبدون ذلك لا يُقام الحُجَّة على العباد, قال تعالى: رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً [النساء : 165].

ومَشاهد تفاعل الأنبياء والرُّسل مع أقوامهم ظاهرة في آيات الكتاب الكريم -كما سيأتي بيانه – فإذا عرفت ذلك وأيقنت به فأعلم أنَّ الإيمان بالنبوَّات هو من الأسس التي ينبني عليها إيماننا بسُنَّة الحبيب ﷺ.

لذلك وقبل الدخول في موضوع بحثنا يحسن أن نمهِّد له بسؤالين:

السؤال الأول: هل تكلم الله بشيء إلى خلقه خارج الكتب المقدسة[11] ؟

الإجابة: نعم

فإن آيات القرآن الكريم متضافرة ومتظافرة[12] في تقرير هذه الحقيقة, فمن الآيات الكريمات قوله ﷻ: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ [البقرة : 30] وقوله ﷻ: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [الأنفال : 12]

وغيرها من اللآيات مما سيمر معنا في البحث ...

[10] النبوة والأنبياء في ضوء القرآن, الندوي (صـ 39-40)

[11] نعني بذلك الكتب والصحف ألتي أنزلها الله عز وجل على رُسله صلوات ربي وسلامه عليهم.

[12] متضافرة: من ضفيرة المرأة أي الشعر مُجَمَّع, فيكون المعنى أن الآيات تجمعت في تقرير هذه الحقيقة, وبعد تجمعها أصبح عندنا يقين فوق اليقين بهذه الحقيقة فأصبحت متظافرة من الظَفَر والنجاح.

السؤال الثاني: هل أوامر الله ونواهيه قاصرة على الكُتب المنزلة ؟

الإجابة: لا

ولذلك فإنَّ السُنَّة وحي ! وسنناقش ذلك في الصفحات القادمة إن شاء الله.

النبي والرسول

ولقد استقرَّ عند العلماء أن الرَّسول هو نبيٌّ مُرسَلٌ بشرعٍ جديدٍ, كما أن الراجح في أن النبي قد يُؤمَر بشرع ويُؤمر بتبليغه إلا أنَّه لا يكون ناسخاً لشرع الرَّسول الذي قبله, بل يكون مؤيداً له داعياً لكتابه.

ولكنَّ منكري السُنَّة **يزعمون** أن المقصود بالرسول في آيات القرآن الكريم هو الرسالة **أي القرآن** كما جاء في بعض المعاجم من إطلاق لفظ الرسول على الرسالة نفسها, وبالتالي فقد ذهبوا إلى أن الآيات الآمرة باتباع الرسول تعني اتباع القرآن وحده !

لكننا نقول: صحيح أن اللغة قد تأت بلفظ الرَّسول ويُقصد به الرسالة, ولكنها تأت أيضاً بإطلاق لفظ الرسالة على الشخص المرسَل, **ومقتضى اللغة أن يُنظَر في السياق لتحديد المعنى**, ولكنهم أخذوا المعنى الأول وتشبثوا به وأهملوا المعنى الآخر ! مع ما عليه من القرائن في آيات الكتاب الحكيم.

وما ذاك إلا لينفوا الأمر باتباع سُنَّة النبي ﷺ, بينما نجد أنَّ آيات الكتاب الكريم تشهد بما قاله السَلَف – من أن الرسول هو شخص المرسَل –, منها قوله تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ [الأعراف : 157] فمن هو الرسول؟ النبي الأمي.

وقوله ﷻ: قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [البقرة : 13]

قد عظَّم الله هذا الإيمان فقالﷻ: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة : 285] لاحظ: الرسول يؤمن برسل الله !

وقد قال سبحانه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحج : 52]

فالأنبياء والرسل جميعاً مرسلون من الله لكن بعضهم كُلِّفَ بنقل شرع جديد فسُمِّيَ رسولاً, والبعض الآخر كُلِّفَ بتشريع ولكنه لم ينزل في كتاب, فمن ذلك قصة نبي بني إسرائيل من بعد موسى ﷺ حيث طلبوا منه سؤال الله أن يجعل عليهم ملكاً يقاتلون معه في سبيل الله, قالﷻ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [البقرة : 246-248]

وأيضاً ما جاء في قصة ناقة نبي الله صالح ﷺ حيث أوحى إليه الله عزَّ جلَّ **أن يأمر قومه بشرع** بخصوص الناقة إبتلاءً منه سبحانه وتعالى لهم, فقد كان التشريع أن تشرب من الماء يوماً ولا يشرب قوم صالح من الماء ذلك اليوم وإنما يشربون من لبنها, وفي اليوم الثاني يشربون من الماء, فعصوا رسول ربهم وعقروا[13] الناقة واستحقُّوا العذاب في الدنيا والآخرة, قال ﷻ: وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاء قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ [القمر : 28-30]

ومن المعلوم أن صالح نبي فالآمر هو رجل وليس كتاب: وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً [الأعراف : 73] وكذلك ورد التصريح في الآيات السابقة بقوله "إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ" فما قاله السلف هو صريح القرآن الكريم والحمد لله رب العالمين.

[13] ذبحوها

بل قد أوحى الله لنبي له مع وجود رسول وكتاب وفي نفس الزمان بل وقد سعى الرَّسول لاتباع ذلك النبي في بعض مسائله, كما في قصة موسى والخَضِرْ عليهما الصلاة والسلام حيث: قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً [الكهف : 66] والأفعال التي فعلها الخضر كما في سورة الكهف[14] لا تصدر إلا عن وحي: كمسألة خَرق السفينة وعلمه بالملك الظالم, وقتل الغلام وعلمه بما سيحصل لو كبر بل وتقريره أن الله سيبدلهما خيراً منه زكاةً وأقرب رُحماً, وعلمه بالكنز وما سيحصل للغلامين ومراد الله في ذلك, لذلك فهو نبي من أنبياء الله, قال تعالى حكاية عنه: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً [الكهف : 82] وسواء قُلنا بأنه نبي أو ليس بنبي فإن هذا ليس مجال بحثنا[15].

وهنا يحضرني سؤال: الستم تقولون أن الرسول هو الرسالة, والنبي هو شخصه البشري؟ كيف عرف النَّبي – غير الرسول – أنَّه نبي ؟ أليس عن طريق الوحي ! ثم ما رأيكم بهذه الآية؟

قالﷻ: مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [النساء : 80]

فهنا المرسَل هو شخص النبي ﷺ, ومن أطاعه دخل الجَنَّة.

فإن قالوا أنَّ المقصود هو من يطع الرسول – القرآن – فكأنما أطاع الله, قلنا أن آخر الآية يَرُدُّ قولكم إذ يقول له "أَرْسَلْنَاكَ" فهذه لا تحتمل إلا أن يراد بها شخص النبي ﷺ **فهو المُرسَل والقرآن عليه مُنَزَّل !**

وقد ورد التصريح بذلك في قولهﷻ: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران : 144]

ورسوله من البشر ويتكلم بلسانهم: لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [التوبة : 128], وقالﷻ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [إبراهيم : 4]

ثم وإن أولتم المراد من هذه الآية فكيف بكم في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً [الفتح : 10]

[14] الآيات من الرقم 60 إلى الآية رقم 82

[15] بل إن القول بأنه ليس نبي يزيد الأمر صعوبة على منكري السُنَّة !

فالمبايعة لشخص النبي: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً [الفتح : 18]

فكما أن من بايع النبي ﷺ -كشخص - فهو في الحقيقة مبايع الله لأنه رسوله, كذلك من أطاع النبي ﷺ بكلامه فكأنما أطاع الله لأنه رسوله, ومن عصاه بعد مبايعته فقد سمّاه الله عاصياً كما سيأتي بيانه[16] إن شاء الله تعالى.

وقال ﷻ: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [آل عمران : 101]

فهذه الآية ظاهرة في التفريق بين الآيات الله المنَزَّلة التي تُتلى والرسول ﷺ.

قال ﷻ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً [النساء : 136]

فهنا الرسول مُنزَّل عليه كتاب, فإن كان الرسول هو الرسالة, فهل أُنزِلَ على الرسالة رسالة لتبلغها للناس !

قال ﷻ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [الأنفال : 1] وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً [الأحزاب : 50]

فما أفاء الله على رسوله محمد ﷺ هو محض امتنان منه سبحانه, **ثم هل القرآن يتزوَّج؟ أستغفر الله !**

وفي قصة زواج النبي ﷺ من زينب - رضي الله عنها - تصريح رباني ببيان بطلان تفريق مُنكري السنة, بل القرآن الكريم يوضح العلاقة الوطيدة بين الأنبياء وربهم سبحانه وعلاقتهم معه عن طريق الوحي, فها هو النبي ﷺ عندما يجتهد في غير نص ضمن واقعة معينة أو نازلة نزلت به فإن خالف مراد الله تعالى أتبعه الله بالتصويب وهذا

[16] انظر صـ 19 من البحث

التصويب ينزل في كتاب يُتلى إلى يوم القيامة, فإن كانت سنة النبي ﷺ لا علاقة لها بالوحي فلماذا يصحح له الله خطأه؟ بل وكيف يكون في كتاب مُلزِمِ الإتباع ويُتلى إلى يوم القيامة !

من أمثله ذلك: قضية أسرى بدر عندما أطلق سراح الأسرى فأنزل الله تعالى معاتبته على ذلك, لأن بعض من أشار إليه كان يريد عرضاً من أعراض الدنيا العاجلة والله يريد الآخرة, فقال ﷻ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال : 67]

فالقرآن الكريم كتاب ربَّاني أنزَله الله ليهذِّبَ النفوس وتطمئن به القلوب, ولم يجعله نصاً جامداً بل أنزله حسب الوقائع والأحداث ليتعايش الناس مع آياته البيِّنات ويكون لهم شفاء ورحمة, قال سبحانه: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً [الإسراء : 82]

وما ذكر قَصص السابقين إلا لتحقيق هذا الغرض: فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [الأعراف : 176]

مثال ذلك: ما ورد في قضية اتهام عائشة – رضي الله عنها – بالزنى حيث أنزل الله براءتها في آيات تُتلى إلى يوم القيامة, قال ﷻ: إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النور : 11]

وإن لم تعجبكم هذه الآيات فإليكم هذه الآية الواضحة في المسألة

فإن قالوا: نريد آية صريحة في أمر الله للنبي لا الرسول

قلنا: قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً [الأحزاب : 59]

فهذا الأمر موجه للنبي بل والأمر يقتضي من النبي أن يبلغ هذا التشريع للناس.

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة على: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا [الروم : 30] إذ أنَّ مهمة الأنبياء والمرسلين الكُبرى هي هداية الخلق وانتشالهم من وَحل الخطيئة إلى نور الرسالة.

مراتب الوحي وأنواعه

ولتحقيق ذلك أيَّدَ الله الرُّسُلَ بوحيه, تَفَضُّلًا مِنه سبحانه على خلقه, قالﷻ: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى : 51]

وقد أمر أنبياءه بتبيان وحيه للناس حتى تقوم الحجة على خلقه: بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل : 44]

وكان هذا عهده إلى العلماء, قالﷻ: وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ [آل عمران : 187]

وقد حذَّر من كتمان وحيه فقال: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ [البقرة : 159]

وأنواع الوحي[17] أو مراتب الوحي المذكورة في الآية على أربعة [18]:

- الرؤيا المنامية
- النفث في الرُّوع
- التكلم من وراء حجاب
- الوحي بواسطة الملك

[17] تنوعت دلالات لفظة الوحي في القرآن الكريم فليست قاصرة على التشريع النازل على الأنبياء.

[18] البداية في العقيدة, بالي (صـ 8)

الرؤيا المنامية

فأما ما يتعلق بالرؤية المنامية, فإن رؤيا الأنبياء حق "ويقين"[19] وهي من "الوحي"[20] وقد دلَّ القرآن الكريم على ذلك كما في قصة إبراهيم الخليل ﷺ حيث رآى في المنام أنَّه يذبح ابنه إسماعيل: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ [الصافات : 102]

فهذه الآية أثبتت أن رؤيا الأنبياء مما أمر الله,"ولو لم تكن الرؤيا المنامية وحياً لما جاز لإبراهيم عليه الصلاة والسلام الإقدام على ذبح ولده"[21] أو أنَّ منكري السُنَّة أكثر وَرَعَاً من إبراهيم وأكثر فقهاً من إسماعيل – حيث اعتبرها أمراً –, عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام !

ومما يدل دلالة ظاهرة على أن رؤيا الأنبياء وحي, قوله تعالى لإبراهيم بعد امتثاله للأمر: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [الصافات : 105]

وقد يُنازَع بأن هذا الأمر ليس وحي تشريعي للأمة فلا نسلِّم لكم بدلالته على ما أردتم, فنقول:

أولاً: ليس النزاع في كونه تشريعاً خاصاً أو عاماً إنما النزاع في كونه تشريع من عدمه, وقد ثبت أنَّه تشريع.

ثانياً: إن ثبت التشريع الخاص بالرؤيا المنامية فما المانع من إمكانية التشريع العام بالرؤيا المنامية ؟

سيقولون: من رؤيا !! **نقول**: من يؤمن بصدق الرسول فلن يجد غضاضة في تصديق ذلك وإلا وقع في المغالطة المنطقية المسماة بـ "الإنقلاب الإقراري" لأن التصديق بالرؤيا المنامية هو فرع عن التصديق بالنبوة, كما أن قياس رؤيا الأنبياء على رؤيا غيرهم من البشر قياس فاسد.

ومن الأدلَّة على إثبات ذلك ما رآه النبي ﷺ من أنَّه سيدخل مكة لأداء العمرة آمنا مطمئناً وعندما ذهب لأدائها ومُنِعَ من ذلك ساء الأمر على الصحابة[22] واستغل المنافقين هذه الحادثة للطعن بالنبي ﷺ, **فلو لم يكن كلام النبي معتبراً ووحياً لما حدث ما حدث من أجل رؤيا !**

---

[19] تفسير الطبري (74/21)

[20] ذكره البخاري تعليقاً: صحيح البخاري (171/1): وقال عُبَيد بن عُمَيرٍ: إن رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ: يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ.

[21] فتح الباري, ابن حجر(239/1)

ومع ذلك فإنَّ حُزن المؤمنين وفرحة المنافقين لم يدوما طويلاً, قال تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً [الفتح : 27] فدخلوا في العام القابل وأدَّوا المناسك العمرة آمِنين, والحمد لله رب العالمين.

بل وقد سمَّى الله من لم يخرج مع النبي ﷺ لأداء هذه العمرة **بالمخلفين**: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً [الفتح : 11]

مخلفون عن ماذا ؟ هل أمر النبي خارج القرآن مُلزِم الإتباع ؟ وإن كان كذلك هل يكون عبر رؤيا !!

وكان من إرهاصات نبوته ﷺ أنه كان يرى الرؤيا الصالحة ثم تتحقق مثل فَلَقِ الصُّبح[23], وبعد ذلك يُستهزَأ برؤيا النبي ﷺ لا, ويُكال لها الشُّبُهات !

النفث في الرُّوع

ومنه ما حصل لأم موسى ﷺ حيث أراد فرعون قتله وهو رضيع, قال ﷻ: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ [القصص : 7]

ففي الآية:

- أمرين: أرضعيه, ألقيه باليم
- نهيين: لا تخافي, لا تحزني
- بشارتين: رادوه إليك, جاعلوه من المرسلين

---

[22] ليقينهم واتباعهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم, لاحظ أن الأمر برمته عبارة عن رؤيا !

[23] عائشة رضي الله عنها: صحيح البخاري (3)

ومثله قول النبي ﷺ[24] "هذا رسولُ ربِّ العالمينَ جبريلُ – عليه السلام – نَفثَ في رُوعِي أنه لا تموتُ نفسٌ حتى تستكمِلَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا فَاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ ولَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرزقِ أنْ تَأْخذَهُ بمعصيَةِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لا يُنَالُ مَا عِندَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ".

وهذا الحديث هو مصداق قولهﷻ: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ [الزخرف : 32]

فالله الذي رزق العباد تفضلاً منه وليس للإنسان مِنَّة وفضل: فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر : 49]

كما قال قارون عليه لعنة الله: قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ [القصص : 78]

ثم وإن لم يكن في القرآن دلالة ظاهرة على هذا النوع تحديداً فإن الأنواع الأخرى مثبتة, بل إننا لو نظرنا في الأمر نظراً عقلياً لقلنا ما المانع من ذلك؟ كما أنَّ محل بحثنا ليس تحديد كيفية الوحي بل إثباته وقد ثبت بنص القرآن, والحمد لله رب العالمين.

[24] رواه معمر بن راشد في جامعه (20100), والشافعي في مسنده (ص 233), وابن أبي شيبة في مصنفه (34332), والبزار في مسنده (2914), وصححه الألباني في صحيح الجامع (2085)

الكلام المباشر

وقد دلَّت براهين القرآن الكريم على أن الله قد كلَّم عبده ورسوله موسى ﷺ, قال سبحانه: وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً [النساء : 164]

ولا يخفى عليكم قصة إرساله ﷺ إلى فرعون وتأييده بالمعجزات كقصة العصى واليد, قال ﷻ: وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً [مريم : 52]

وإليكم هذا الحوار الراقي بين الرَّب ﷻ وعبده ورسوله, حيث يقول سبحانه: وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [الأعراف : 143]

وفي قصة إبراهيم: وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ [الصافات : 104]

ومن قبل في قصة آدم وحواء: وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ [الأعراف : 22]

ومجدداً كما سخروا من رؤيا النبي ﷺ سخروا من الإسراء والمعراج[25] وتكليم الله له, مع أن الأول مُثبت بالقرآن في قصة إبراهيم والثاني في قصة موسى, ويزعمون أنهم (أهل القرآن), ويؤمنون بقوله ﷻ: وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران : 189], فتأمل !

[25] لقد استصعبت عقولهم (النيِّرة) الإيمان بأن الله سبحانه رفع رسوله إلى السماء حتى رآى الجنة والنار فقالوا أن هذا يخالف العقل, لذلك نقول: العقل قد يُنكر أشياء لاستحالتها وقد ينكر أشياء بداية الأمر لخروجها فوق قدرته ومداركه فإذا ما آمن بمقدمات الحدث, لم يجد بُدَّ من التسليم والإذعان, مثال: المعراج مبني على مقدمتين, الأولى: أنَّ القائم بذلك هو الله جل جلاله كُلِّي القدرة, الثانية: أن هذا كان معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

إرسال الملك

وهذا في القرآن كثير, فقد بشَّرت الملائكة زكريا بيحيي: فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ [آل عمران : 39]

وبشرَّت إبراهيم وزوجه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب: وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ [هود : 71]

ونزلت بالعذاب على قوم لوط: وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ [العنكبوت : 31-32]

كما ونزل جبريل إلى مريم فبشرها بعيسى عليه الصلاة والسلام: فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً [مريم : 17-19]

ولقد تواتر عند العامَّة والخاصة أن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل على النبي ﷺ في غار حِراء فأوحى إليه ما أوحى, قال ﷻ: وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ [الشعراء : 192-195]

فنزول جبريل عليه السلام إلى عباد الله بتشكُّله بصفة رجل ثابت بالقرآن الكريم, لذلك فمن العجيب أنك تجد القرآنيين – منكروا السنة – ينكرون نزول جبريل على النبي ﷺ بالقرآن !

ويقولون أنَّه نزل من السماء جملة واحدة في الصحف مع أنَّ الله تعالى قال: وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً [الإسراء : 106]

وقال: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [القيامة: 16-19]

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ [الجاثية : 6]

وحي الله خارج الكتب

يزعم المغرضون أن الإمتثال لغير القرآن شرك بالله سبحانه وتعالى, **وإنَّا لنتساءل: لماذا؟**

لقد ثبت بالقرآن الكريم أن الله أوحى بشرع ولم ينزله في كتاب ولم يجعله شركاً !

ففي قصة موسى عليه الصلاة والسلام حيث أمر قومه بذبح بقرة فأخذوا يتشددون في وصفها ويشدد الله عليهم حتى ذبحوها واستجابوا لأمر الله أخيراً وكل ذلك كان يكلمه ربه ويوحي إليه, قالﷻ: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ [البقرة : 67-71]

وكما أمر الله إبراهيم ﷺ بأوامر فاستجاب الله له: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ [البقرة : 124]

وقد أمره الله ببناء الكعبة وبعد الانتهاء منها أن يؤذن في الناس بالحج: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [الحج : 27]

وقال تعالى في سليمان ﷺ: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء : 79]

وكما مرَّ معنا في قصة نبي الله صالح ﷺ والناقة, وفي الصفحات القادمة مزيد أمثلة ...

دلالة القرآن على وحي السنة

عدد الملائكة يوم بدر

يخبر الله سبحانه وتعالى أن النبي الكريم – صلوات ربي وسلامه عليه – أخبر الصحابة يوم بَدْرٍ بنزول الملائكة الكِرام, بل أخبر بعددهم أيضاً, قالﷺ: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ [آل عمران : 124]

وقد نزلت الملائكة في ذلك اليوم عبر مجموعات وكل مجموعة مكونة من ألف ملك: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ[26][الأنفال : 9]

بل قد أمر الله الملائكة بقوله: إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ [الأنفال : 12]

فمن أين للنبي ﷺ العلم بأنَّ الملائكة ممكن أن تنزل لتحارب مع المؤمنين؟

وإن عَلِمَ ذلك, **فمن أين له أن يعلم بالعدد من غير وحيٍ من الله؟**

هل هناك آية في القرآن سابقة لهذا الخبر تُنبئ النبي ﷺ بما سيحصل ؟

هل يمكن للنبي أن يكذب عليهم ؟ **حاشاه !!**

[26] مردفين أن نزل ألف فتبعهم ألوف مثلهم, انظر: تفسير القرآن العظيم, ابن كثير (112/2) , ومفردات غريب القرآن, الراغب الأصفهاني, (صـ 350)

قالت من أنبأك هذا

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز ما جرى بين النبي ﷺ وبعض نسائه حيث أخبر إحداهن بحديثٍ فَقصَّته على الأخرى فعلم بذلك ﷺ بوحي من الله, قال ﷻ: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ [التحريم : 3]

بغض النظر عن تفاصيل القصة فإن الآية تقول "وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ" وعند سؤال زوجته عن كيفية معرفته تلك قال "نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ" فهذا الإظهار لم يرد في القرآن الكريم مما يدل دلالة واضحة على أن الله أوحى لنبيه ما لم ينزل بالكتاب.

فإن زعم منكروا السُنَّة أنَّ الأحاديث التي ثبت أن الرسول ﷺ قالها في أمور الغيب هي محض افتراء عليه

قلنا: هل الله سبحانه يفتري على رسوله بأنَّه يتقوَّل على الله بقوله نبأني العليم الخبير! – أستغفر الله –.

لا حرج فيما فرض الله

وتتجلَّى تعاليم الهدي الربَّاني في تشريعاته سبحانه حيث أبطل ما كان عليه أهل الجاهلية من عادة التبني التي تخلط الأنساب وتحل ما حرَّم الله, وهذا الإبطال كان في حادثة عظيمة, حيث كان لِزاماً على النبي الكريم أن يكون أول المبادرين لها كونه أسوةً للناس أجمعين, كما قال ﷻ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً [الأحزاب : 21]

وحيث كان النبي ﷺ قد تبنى زيداً – رضي الله عنه – في الجاهلية, فعندما أبطل الله التبني, أراد سبحانه أن يرفع الحرج عن الأمة فأوحى لنبيه أنك ستتزوج من زوج زيد – زينب – بعد أن يطلقها, فعندما بدأت بوادر الخلاف بين الزوجين, حثَّ النبي ﷺ زيداً على إبقاء زوجته ولكنه رفض لتمضي سُنَّة الله عز وجل.

قالﷻ: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً [الأحزاب : 37]

ولشدة المِحنَة التي تعرض لها النبي ﷺ تقول عائشة[27] – رضي الله عنها – "لو كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كاتمًا شيئًا من الوحيِ لكتم هذه الآيَة" فالأمر خطير في ذلك المجتمع الجاهلي وبيان النبي ﷺ هذا الأمر لهو أكبر دليل على صدقه ﷺ.

وفي بيان ذلك يقولﷻ: مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً [الأحزاب : 38] وقال تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً [المزّمّل : 5]

وقد كانت زينب – رضي الله عنها – تفتخر على زوجات الرسول ﷺ بذلك فتقول[28] "زوجَكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوجَني اللهُ تعالى من فوقِ سبعِ سماواتٍ".

لذلك نقول: إين هذا الفرض في كتاب الله ؟ لأن الآيات تعطي خبراً مجرداً, تماماً كـ آية نزول الملائكة يوم بدر.

لاحظ أن سياق الكلام موجَّه للنبي وليس للرسول !

وهكذا أبطلت العادة الجاهلية وأصبح الزواج من زوجات الأبناء بالتبني بعد إبطاله سُنَّة شرعية للمؤمنين.

وفي ذلك إظهارٌ لعظمة الأنبياء والمرسلين المؤيدين بشرع رب العالمين الدَّاعين إلى الصراط المستقيم وهم أومن من كانوا به متمسكين, فالشرع نزل لِيُنَفَّذ والرَّسول أُرسِل ليكون أسوة البشر في تطبيق الوحي.

قال تعالى: يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً [مريم : 12]

وقال سبحانه: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة : 63]

---

[27] صحيح سنن الترمذي (3208), أحكام القرآن (577/3) (411/4)

[28] أنس بن مالك رضي الله عنه: صحيح البخاري (7420)

فالشرع أحياناً يكون شديداً على النفس: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً [المزّمّل : 5] وخاصة إذا خالف الهوى.

لذلك كان من رحمته سبحانه أنَّ من تمسك بهذا الثقيل في الدنيا, نجَّاه الله من ثقيل الآخرة: إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً [الإنسان : 27]

تحويل القبلة

بل إن حادثة تحويل القبلة إلى الكعبة المشرَّفة لدلالة واضحة على **حجية السنَّة النبوية**, حيث تشوَّف النبي ﷺ لتحويلها وما ذاك إلا لشدَّة تمسكه بشرع الله عزَّ وجلَّ في القبلة الأولى كما مرَّ معنا في أوامر الله لأنبيائه: يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً [مريم : 12]

وإليكم الآيات من سورة البقرة: سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ [البقرة : 142-144]

لاحظ أن قبلة المسلمين الأولى لم تُذكر بالقرآن الكريم مع أن الله قد "جَعَلَ" النبي ﷺ عليها, وعندما رغب النبي ﷺ بالاتجاه إلى الكعبة المشرَّفة أدام النظر في السماء انتظاراً لجبريل – عليه السلام – أن ينزل بالوحي, ولو كان التوجه للقبلة الأولى اجتهاداً منه أو كان مباحاً لما وجد غضاضة في التوجه للكعبة متى أراد ذلك !

كما أنَّ الله قد سمَّى التوجه لقبلة الأولى إيماناً !

وما جعل الأمر الأول بالإتجاه لبيت المقدس ثم هذا التحويل إلا لِيَظهَر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه وذلك أنَّ "اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالْفَرَائِضِ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ طَاعَتُهُمْ أَوْ مَعْصِيَتُهُمْ، وَلِيُجَازِيَ الْمُحْسِنَ وَالْمُسِيءَ مِنْهُمْ، مَنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ فِيمَا أَحَلَّهُ أَوْ حَرَّمَهُ عِلَّةٌ تُوجِبُ التَّحْلِيلَ أَوِ التَّحْرِيمَ"[29].

كما قال ﷻ: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور : 63]

هذا وقد أمر الله المؤمنين بطاعة رسوله ﷺ في غير ما آية فقال ﷻ: قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [آل عمران : 32]

فقرنت طاعة الله بطاعة رسوله, وقال تعالى: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [النور : 54], قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً [النساء : 59]

فهذه الآيات واضحة مثل الشمس في رابعة النهار, فقد أمر "بطاعته وطاعة رسوله وكرر الفعل في ذلك (...) ولم يكرر الفعل في طاعة أولي الأمر لأن طاعتهم تابعة لطاعة الله ورسوله, وإنما تجب بالمعروف, حيث كان ما أمروا به طاعة الله ورسوله, ومما لا يخالف أمر الله ورسوله"[30].

[29] تأويل مختلف الحديث, الدينوري (صـ 281)

[30] كشف حقيقة القرآنيين, الشيباني (صـ10)

وعصيتم

قد يقول بعضهم أنَّ آيات طاعة الرسول أتت في مقام التشريف وفي مقام طاعته في وحي القرآن فقط.

نقول: ما رأيكم بقولهﷻ: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران : 152]

هذه الآية نزلت في واقعة أحد حيث أمر النبي ﷺ الرماة المكوث على الجبل وعدم النزول فعصى أكثرهم ونزل بعد ما رأى بوادر النصر, **وهنا نسأل: هل مخالفة السُنَّة معصية !!!**

أو نقول: عصوا ماذا ؟

لاحظ أنَّ هذا كان بعد مبايعتهم له على السمع والطاعة !

موهم التحريف والتناقض

في العالم الإسلامي اليوم هناك العديد من المصاحف للقرآن الكريم بينها إختلافات يسيرة في بعض الآيات, **وهذا الإختلاف راجع إلى تنوع القراءات المبني على اختلاف الأحرف التي نزل عليها القرآن الكريم**, فالمسلمون شرقاً وغرباً يؤمنون بالكتاب العزيز ويؤمنون بالقراءات المتواترة عن النبي ﷺ, وهذا الإيمان راجع إلى طبيعة إقرارهم بوحي السُنَّة النَّبويَّة إذ التفصيل والتدليل على صحتها إنما ثبت بالحديث الشريف.

منكروا السُنَّة اليوم يقعون في مشكلة لازمها اتهامهم للقرآن بالتحريف, وذلك أنَّ من بين القراءات اختلاف بالزيادة والنقصان في بعض الآيات, فمن ذلك ما جاء في قولهﷻ: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة : 100] ففي المصحف المكِّي مثلا هناك زيادة "مِنْ" في قوله " وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ" والإثنان قالهم النبي ﷺ والإثنان حق.

وكذلك التناقض ففي قوله تعالى في آية الوضوء كما في رواية حفص عن عاصم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ [المائدة : 6]

ففي هذه الآية قوله "وَأَرْجُلَكُمْ" منصوبة ومعطوفة على غسل الوجه اليدين إلى المرفقين, بينما وردت في قرآءة أخرى "وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأرْجُلِكُمْ" فجاءت "وَأرْجُلِكُمْ" مجرورة معطوفة على المسح.

وهنا نسأل منكروا السُنَّة: أي الكتاب هو الكتاب الصحيح ؟

فإن قالوا الجميع صحيح نقول لهم: القرآن الكريم في كثير من الآيات ذكر أنَّه كتابٌ واحد فأي الكتاب هو الصحيح ؟!

قال ﷻ: ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ [البقرة : 2]

وقال ﷻ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا [الكهف : 1]

فإن ادعى كل من يقرأ بقراءة معيَّنة أنَّ قراءته هي الصحيحة وما سواها باطل, نقول:

- **جميع القراءات** وصلت إلينا بالتواتر القطعي الثبوت !
- **جميع القراءات** يصل سندها إلى صحابة إلى رسول الله ﷺ!
- **جميع القراءات** تحوي آيات حفظ القرآن الكريم !

قال ﷻ: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9] وقال ﷻ: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت : 42]

فالسبيل الوحيد أمام مُنكري السُنَّة للخروج من هذا المأزق العاصف بالقرآن هو الإيمان بطبيعة القرآن وتنوع الأحرف, فكتاب القرآن واحد والمصاحف مختلفة لتحوي الإختلافات التي نزل بها القرآن لا أكثر ولا أقل.

والإيمان بالسُنَّة النبوية المطهرة هو السبيل الوحيد لرفع التناقض الموهوم عن كتاب الله في آية الوضوء بين المسح والغسل, حيث غسل النبي ﷺ القدمين, ومسح على الخُفَّين.

توضيح بعض الإستشكالات

إن الحكم إلا لله

سيقولون لكن الله تعالى أخبر حكاية عن رسوله: أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ [الأنعام : 114]

فكيف تريدون منا أن نحتكم لغير الله ؟ وقد قالﷻ: إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ [الأنعام : 57]

نقول: من قال هذا أيضاً: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [المائدة : 42]

وقال تعالى: وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ [المائدة : 49]

بل وقد جعل الله الحكم لرسوله في نزاع المؤمنين في قوله: فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً [النساء : 65] بل وعلّق بالإيمان على ذلك !

وفي بيان ذلك يقول الحق سبحانه: وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ [النور : 47-52]

ولا شك أن القرآن لم يفصل الحكم في النزاعات !! إذاً حكم الرسول هو مما أنزل الله سواء لفظاً كالقرآن أو معنىً كالسُنَّة. **وإلا فإن الله يكلف رسوله بل ويعلق إيمان المؤمنين على التحاكم لرسوله عند النزاع ويوجب عليهم اتباع القرآن الكريم فقط في حين أنه لا يحوي تفاصيل النزاع !!!**

بل إننا نجد أنَّه قد أوكل الحكم إلى غير الله وإلى غير رسوله أحياناً, وأمر بذلك فقال: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً [النساء : 35]

ورغم هذه الأدلَّة الواضحة فإنَّهم زعموا أن سُنَّة النبي العدنان هي افتراء على رسالة الإسلام والتي تتمثل بالقرآن, فقط !

واستشهدوا بقوله ﷻ: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [يونس : 15] على أنَّ النبي ﷺ ينفي الوحي عن غير القرآن.

والحق أنَّه لا دلالة لهذه الآية إلى ما ذهبوا إليه, فقد أتت في سياق رد على المشركين الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بكتاب غير القرآن الكريم, فقال لهم لا أستطيع لأنني أتبع ما يوحى إلي من ربي فقط, فالآية لا تنفي جواز نزول كتاب غير القرآن بل تنفي صدوره عن النبي ﷺ بغير وحي من الله.

فهي وما قبلها في قضية التحكيم من جِنس الآيات التي ينفي فيها الرسول استطاعته على الإتيان بمعجزة من تلقاء نفسه أو أنَّه يعلم الغيب, فلا نفي لمطلق المعجزة فهي واقعة ولا نفي لمطلق الغيب فهو واقع بالإيحاء الرباني إلبه.

قال ﷻ: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى : 51]

وإذا ثبت أن الرَّسول ينفي الإتيان بآية من تلقاء نفسه, وثبت بالقرآن أنَّ القمر انشق نصفين, فهذا يعني أنَّ الرسول طلب من الله والله استجاب له واعلمه بها – خصوصاً عندما نعلم أن هذا الأمر كان تحديًا من الكُفَّار[31] – , مما يدل دلالة واضحة على حجية السنة.

ومما يدل على أن المعجزات تحصل بوحي ما جاء عن بني إسرائيل حيث طلبوا من عيسى ﷺ أن يسأل الله تنزيل مائدة من السماء فلما نزلت قال: قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ [المائدة : 115]

[31] رواه البخاري برقم (3636)(3637)(3638)(3868)(3869)(3870)(3871)(4864)(4865)(4866)(4867)(4868)(4869), ورواه مسلم برقم (2800)(2802)(2803) عن: أنس بن مالك , عبد الله بن عباس , عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

وقد اتفق العقلاء أن العقل البشري قاصر عن الإحاطة بما يجري حول الإنسان من أحداث, لذلك تراهم في دساتيرهم الوضعية متخبطون في الأحكام والمبادىء, فكيف لمن افترى على لسان النبي – بزعمهم – أن يأتي بمثل هذه السُنَّة التي تتفق مع أصول الإسلام وثوابت القرآن والعلم الحديث والشَّاملة لكل دقيق وجلي من أمر البشرية والمؤصلة لمبادئ العلوم الشرعية حتى كان من أعظم دلائل عظمة الإسلام: **الشمولية !**

فهي كالقرآن في ثباتها, فقد عصفت بحياة النبي ﷺ الكثير من الأهوال الشديدة, منها ما ذكره الله في كتابه ومنها ما سطَّره التاريخ, ومع ذلك فلم يؤثر ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لخروجهم من مشكاة واحدة.

لذلك نقول: إن إنكار كون سُنَّة الرسول من الوحي هو الشرك وليس العكس !

مع العلم بأن لا أحد يُنازِع في كون السُنَّة دون القرآن الكريم من حيث اللفظ والتركيب, فالفرق بين القرآن والسنة – من هذه الناحية – كالفرق بين الخالق والمخلوق !

ما فرطنا في الكتاب من شيء

يستشهد مُنكروا السُنَّة ببعض الآيات التي يظنون أنَّها تخدم مذهبهم من الإعتماد على القرآن وحدة في تشريع الأحكام.

ومن تلك الآيات قوله ﷻ: مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ [الأنعام : 38], وقوله ﷻ: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ [النحل : 89], قوله ﷻ: وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً [الإسراء : 12] فقالوا أن الله لم يفرط بشيء وأنَّ القرآن مفصل ومبين لكل شيء ...

فأما الآية الأولى: فنعم .. الله لم يفرِّط في الكتاب من شيء: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 75] فهذا الكتاب فيه سعي العباد في الأرض: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس : 12] فهو إمام مبين.

بل إن فيه كل ما غاب في السماء والأرض: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [النمل : 75]

فهل هذه صفة القرآن الكريم ؟ **طبعاً لا** ... والدليل أيضا قوله تعالى: مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحديد : 22] من قبل أن نبرأها والقرآن أحياناً كان ينزل بعد أن يصير الأمر لا قبله كما في حادثة الإفك وغيرها عند السؤال.

مثلاً: كسؤالهم عن الخمر والروح ...

إذا ما هو هذا الكتاب؟

الجواب من القرآن نفسه, قال تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ [البروج : 21-22], ومن خصائص هذا الكتاب أنه: لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [الواقعة : 79]

فاللوح المحفوظ كتب الله به ما هو كائن إلى يوم القيامة ولا يغيب عن الله شيء أبداً.

وأما الثانية وهي قوله: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ [النحل : 89]

والثالثة قوله: وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً [الإسراء : 12]

فنعم القرآن فيه تبيان كل شيئ وتفصيل كل شيء ولكن نسألكم سؤالاً, قال تعالى: وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأنعام : 141] ما هو حق الزرع يو الحصاد ؟ لا يوجد في القرآن !

إذا إما أن يكون القرآن متناقض وإما أن اللوازم التي وضعتمونا للآيات باطلة !

وبالتالي فليس المراد بتفصيل وتبيين كل شيء أن القرآن ذكر تفاصيل الشريعة كلها, فإنَّ القرآن فيه بيان كل ما تحتاجونه من أمر دينكم, **سواء كان أصول وقواعد كلية أو فروع !**

لذلك فإن التفصيل والتبيان الذي جاء بالقرآن على نوعين:

النوع الأول: تبيان من طريق النص القاطع الواضح: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ [المائدة : 3], وقوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ [النساء : 23]

والنوع الثاني: التبيان عن طريق وضع الأصول, كوضع الله سبحانه لأصول التثبت في الرواية وهو المستعمل في علم الحديث, قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات : 6]

ومن الأصول أيضاً, قوله تعالى: فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [النحل : 43] فالمعنى العام للآية الكريمة هو سؤال أهل الإختصاص في كل صنعة, لذلك قال في الحرب: وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً [النساء : 83]

والدين كذلك فيه الظاهر الجلي لجميع الناس وفيه ما يحتاج إلى بيان برده إل بعضه كرد المتشابه إلى المحكم مثلاً, فالقرآن الكريم فيه ما يفهمه جميع الناس وهو التوحيد والإيمان وأركانه وفيه ما يفهمه العرب من كلامهم ولغتهم وفيه ما يفهمه العلماء كبعض المتشابه والعام والخاص[32].

ومن الأصول أيضاً أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة النبي ﷺ, فالآيات الآمرة باتباع النبي ﷺ هي مبينة لما يهم المسلمين من أمر دينهم لذلك نجد في القرآن أن الله أفرد طاعته وأفرد طاعه رسوله ولم يفرد طاعة أحد معهما أبداً وكل ذالك في آية واحدة كما مر معنا, قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً [النساء : 59]

ففي هذه الآية أمرٌ للمؤمنين برد النزاع إلى الله والرَّسول ومن الطبيعي أن القرآن لا يحتوي تفاصيل جميع النزاعات التي قد تَرِد, وتؤكد الآية أن القرآن والسُنَّة فيهما الإحكام التام لكل النزاعات بتوضيح أصولها.

وقد علَّق الإيمان على ذلك فقالﷻ: فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً [النساء : 65]

فإن كان القرآن كما فهمه منكروا السنة, فلماذا الحاجة إلى تحكيم الرسول دون غيره فيما شجر بين الناس؟

ما هي خصيصة الرسول هنا طالما القرآن فيه كل شيء؟

[32] كما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما, رواه الطبري في تفسيره (75/1)

وإن قالوا الرسول هو المتكلم بالقرآن, نقول: القرآن ليس فيه تفصيل كل شيء من النزاعات التي تحدث بين المؤمنين ! إذا فتخصيص النبي ﷺ برد النزاع إليه راجع إلى أن كلامه وحي ربَّاني وهو المبَيِّن للقرآن الكريم وهو أعلم الناس بمراد الله سبحانه وتعالى, وعليه فعدم ذكر حق الزرع في القرآن الكريم ووروده في سُنَّة النبي ﷺ أمر عادي يتماشى مع آيات القرآن الكريم ويتسق مع دلالة العقل والمنطق, فنحن لا نريد بهذا الأمر أن نتخذ نداً مع الله بل نريد أن نأخذ بقول من هو أعلم بمراد الله منا.

ثم إن السُنَّة لا تخالف القرآن مطلقاً بل هي قد تضيف حكماً ليس بالقرآن ولكن تحت قاعدة وضعها القرآن الكريم فمثلا أحل الله الطيبات وحرَّم الخبائث فأتت السُنَّة بحُرمة أكل كل ذي ناب من السباع.

ومنه أن الله سبحانه وتعالى أحل صيد البحر وطعامه وحرَّم أكل الميتة, فإذا نظرنا إلى ميتة السمك هل هي من طعام البحر أم تدخل ضمن الميتات المحرَّم أكلها, أتت السُنَّة بإلحاقها بالأول.

ومنه أيضا أن الله حرَّم أكل الميتة وأباح المذكاة ذكاة شرعية, فعندنا جنين الدابَّة المذكاة ذكاة شرعية هل يعتبر من الميتات فيحرم أكله أم يلحق بأمه المذكاة ؟ فأتت السُنَّة بإلحاقه بأمه لأنه تابع, كما في القاعدة الكُلِّيَّة الأصولية "التابع تابع".

وجاء في عدَّة المرأة المتوفى عنها زوجها أن تمكث في عدَّتها أربعة أشهر وعشرة أيام, قال تعالى: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [البقرة : 234]

وأخبر أن عدَّة الحامل هي وضع الحمل, قال سبحانه: وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً [الطلاق : 4]

فالآن عندنا الحامل التي مات زوجها, فهل تكون عدَّتها أربعة أشهر وعشرة أيام أم إلى أن تضع حملها ؟ جائت السُنَّة بإلحاقها بالحامل.

وهكذا فإن السُنَّة لا تخرج عن قواعد القرآن الكريم, حتى ما جاء منها فيما ليس فيه من القرآن شيء أبداً فإنه داخل ضمن أمر الله باتباع الرسول باللفظ الصريح العام كما بيَّنا.

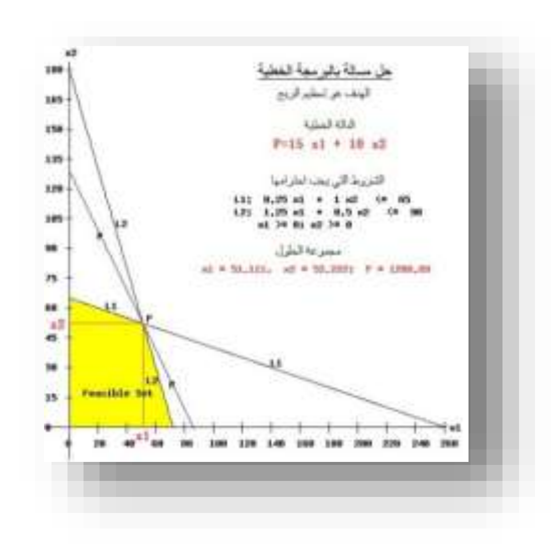
ثم إن عدم ورود تفصيل كل شيء أو ورود قدر زائد من التشريع في السنة لا يتعارض مع قوله "تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ" لآن هذه لا تعني العموم دائماً ولأن التشريع الزائد بالسنة مذكور بالقرآن بالأمر بطاعة الرسول مطلقاً.

ثم ألا ترى إلى ملكة سبأ كيف وُصِفَت بالقرآن الكريم, بقوله: إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ [النمل : 23] ومن المعلوم أنها لا تملك مُلك سليمان !

وقد يزعم قائلُهُم بأن القرآن لا يحتاج إلى السُنَّة لأنه مبين ومفسَّر وقد يستشهد بقوله: وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً [الإسراء : 12] ومع ذلك فتراه يزعم أن آلاف العلماء والزُهَّاد على مدار 13 قرناً لم يفهموا القرآن الكريم !

والآن دونك أخي القارئ: جدول مفصَّل ومبين لكل شيء.

هل فهمته ؟ وأنا أيضاً لم أفهمه ^___^



لذلك نقول: نعم القرآن واضح ولكن يحتاج لأهل الإختصاص العالمين بالعام والخاص والمطلق والمقيد والمبين والمجمل والظاهر والمؤول وغيرها من علوم العرب, لأن ليس كل شيء يفهمه الناس على ما فصلنا سابقاً.

ولذلك وضع الله القاعدة العامَّة وهي قوله: فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [النحل : 43]

وقد يُقال أنَّ القرآن نزل لجميع الخلق ليتدبروه وليس لفئة معيَّنة من الناس. قلنا: لازم كلامكم أن الأعجمي الذي لا يفقه شيء باللغة العربية عليه أن يعرف معنى قوله: سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ [القلم : 16] وإلا فمن أين خصصتم التدبر بمن يفهم اللغة العربية والقرآن نزل لجميع الخلق ليتدبروه كما قررتم ؟!

إذاً صحيح القرآن نزل لجميع الناس, ولكن الأعجمي عليه سؤال العرب ليفهم الكلام, والكلام لا يكون دائماً على ظاهره لذلك فعليه السؤال عن المراد منه, فقد أقول لشخص: تعال قص علي ما تريد. فلو فتح المعجم للغة العربية لفهم كلمة "قص" لقال: تعال واقطع علي ما تريد من الأشياء ! وكأنني منضدة ! ولكن المراد هو أنني أقول له تعالى وأحكي لي خبر ما تريد ! ارأيت المعنى كيف تغير كُلِّيًّا؟

وكما أن الطَبابة حق لجميع الناس ولكن المريض يذهب إلى الطبيب ليفحصه ثم بعد أن يظهر على مرضه يعطيه الدواء ثم لن يستطيع الانتفاع من الدواء مع أنه بجودته إلا باستشارة الصيدلي الذي سيقول له كيف تستعمله ومتى.

إذاً لكي تتدبر القرآن الكريم تتفكر في توحيد الله ودلائل وبراهين التوحيد, تتفكر في مخلوقات الله العلوية من سماء وأبراج وسفلية من بحار وأنهار, وتعتبر في خبر ما قصَّه الله علينا من فلاح المؤمنين ومعاناتهم مع الكفار وكيف كان النصر حليفهم والجنَّة مآلهم, وكيف انتقم الله لعباده المؤمنين الموحدين من مكايد الكافرين: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ [آل عمران : 13] عليه أن ترجع إلى أهل العلم والإختصاص لبياء بعض ما أشكل عليك.

كما أنَّ لقرآن الكريم وضع القواعد العامة الكلية والأصولية فهذه يتدبرها العلماء ويستخرجون منها اللؤلؤ والمرجان, والعُبَّاد يتفكرون فيها بعد سؤال أهل العلم لأنها لا تظهر لأي كان.

فإنَّها تحتاج قلباً صافياً وإيماناً راسخاً وتقوى خالصة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الأنفال : 29] وقال سبحانه: وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة : 282]

وكما أن في اللغة حقائق كالسيارة علامة على القافلة أو آلة التنقل, كذلك في الشرع حقائق كمصطلح الصلاة في الشرع معناه التعبد لله تعالى بهيئة مخصوصة في وقت مخصوص, بينما لو حَّكمنا الشرع إلى اللغة لكانت الصلاة هي محض الدعاء فقط لا غير ! وقد قال بذلك بعضُهم فأبطل شعيرة الصلاة !!

ولا شك أن مقصود الشرع من كلمة "فَكُّ رَقَبَةٍ[33]" أي تحرير العبيد وليس المعنى الذي فهِمتَه, لاحظ الفرق بين المعنى الشرعي المراد من الإحياء والحُريَّة والمعنى الذي فهمناه أنا وأنت وهو لغة عربية !

فالمصطلحات تتغير من علم إلى آخر ولكل علم لغته الخاصَّة !

[33] سورة البلد, الآية رقم 13

الظن في الحديث

العلوم الإسلامية في صدر الإسلام كانت نقية مقتصرة على الوحي إلى أن دخل علم الكلام وعلم الفلسفة إلى تلك العلوم, ودخلت المباحث الكلامية والتفصيلات التي أضلَّت الفئام من الناس, ففي بداية الأمر كان عمل علماء الحديث مقتصر على إثبات صحة الحديث ليكون صحيحاً محتجاً به أو ضعيفاً أو غير مقبول.

أما مباحث "المتواتر" و "الآحاد" وما يتبع ذلك لم تكن ضمن تقسيمات علماء الحديث وإنما نشأت بعد دخول علم الكلام, وبما أنها أصبحت حاضرة في العلوم الإسلامية اضطر العلماء إلى بحثها وبيان ما قد يطرأ من الخلل عند الخوض فيها – لأنها كانت مرتعاً خصباً للتهوين من أمر السُنَّة – ومن هنا ظهرت المؤلفات التي تذُب عن السُنَّة المطهَّرة كيد الكائدين.

ومن تلك الآثار السلبية الزعم بأن حديث "الآحاد" لا يفيد إلا الظنَّ, مما أدى ببعضهم إلى عدم الأخذ به في المسائل الإعتقادية !

وقبل أن نتكلم عن هذا الأمر يجب أن نوضح الظن كما جاء في الكتاب العزيز.

مصطلح "الظن" من المصطلحات التي يختلف المراد منها باختلاف موقعها من الجملة فالعبرة بالقرائن, فقد يأتي الظن بمعنى اليقين ! تخيل !

قال تعالى: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [البقرة : 46] ولا شك أن المؤمن متيقن بالآخرة وإلا كان كافراً ! قال تعالى: والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ [البقرة : 4]

وقد تأت بمعنى الشك والريبة والإتهام بغير بيِّنة, لذلك زَمَّ الله الظن في مواضع من كتابه فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ [الحجرات : 12]

كما زمَّ الله ظن المشركين أن أصنامهم تقربهم إلى الله, فقال: وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ [يونس : 36] وما ذاك إلا لأن هذا الأمر ما هو إلا اخْتِلَاقٌ.

كما أن هناك الكثير من الأحكام الشرعية الخطيرة والتي تتعلق بدماء المسلمين مبنية على الظن وغلبة الظن ولا شكَّ أن هذا الظن ليس هو نفس الظن المذموم الذي نهى عنه سبحانه, إذ كيف ينهى عن شيء ويأمر به ؟

اليست الحدود تؤخذ بالظن ؟ اليس شهادة الناس ظَنيَّة ليست يقينية ؟ ومع ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بها !

قال تعالى: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً [الطلاق : 2]

إذا كان هذا الأمر بالشهادة المبنية على كلام الناس (الظني) مقابل القطعي كما في الجنايات مثلا, فكيف بعلم الحديث المبني على أسس ودعائم وقوانين وضوابط ومتعلق بأحوال الرواة والرواية جميعاً !

فإن باب الرواية أوثق من باب الشهادة, للقرائن المصاحبة كالعدالة والضبط ومقابلة الروايات وتعاضدها !
أفترضون بالشهادة في الدماء كما أمر الله وترفضون السُنَّة التي قد يحصل بها اليقين بحجة عدم ثبوتها عندكم ؟!

لذلك فمن أتى لكلام العلماء عن بعض الأحاديث ورآى أنها قد تفيد الظَّن عند بعضهم, فعليه أن يفهم مرادهم بهذه الكلمة لا أن يفسرها على هواه فيُسقِط الأحاديث بهذه الحُجَّة ! **بل ويقول بشهادة علماؤكم !**

فالظن المراد هو أنَّ هذه الأحاديث لم ترد بِطُرُقٍ كثيرة جداً – متواترة – بل بطرق محصورة براوٍ أو اثنين أو أكثر وبالتالي احتمال الخطأ فيها وارد مع أنَّه مستبعد فالأمر فقد فرض عقلي للإحتياط للدين والتثبت من الأحكام لا أكثر[34], لذلك فالعلماء يطمئنون لثبوت تلك الأحاديث, بل أجمعوا[35] على قبولها والإحتجاج بها.

بل وقالوا أن حديث الآحاد قد يفيد اليقين كما قال الإمام ابن حجر العسقلاني في "النُخبة"[36]: وفيها المقبول والمردود لتوقف الاستدلال بها على البحث عن أحوال رواتها دون الأول ، وقد يقع فيها ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار.

[34] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: سباعي ص 233
[35] لا عبرة بمن شذ عن الإجماع من الطوائف المنحرفة لعدم منهجيتهم في القبول والرد, ولاتباعهم أهوائهم, والله أعلم.
[36] ابن حجر العسقلاني: نخبة الفكر ص 81

فالعلم اليقيني كما تعلمون نوعان أو يحصل بأمرين:

العلم الضروري: الشمس مضيئة, السماء فوقنا, الجزء أقل من الكُل, فهذه لا يحتاج الإنسان إلى نظر واستدلال لمعرفتها بل هي بديهية بل إن كل شيء يتحصل عليه الإنسان من معارف فإنه راجع إلى الأمور البديهية التي يستند إليها.

العلم النظري: كقولك (4+5+7=16) فهذه العملية الحسابية ليست بدهية بل احتجت إلى إعمال الحساب والجمع لكي أتوصل إلى العدد اليقيني, فالمعارف التي يتحصل عليها الإنسان عن طريق النظر قد تكون يقينية كتلك الضرورية التي ذكرناها آنفاً.

فأحاديث الآحاد قد تفيد اليقين بالقرائن التي تحتف بالخبر ومن أراد الاطلاع عليها فدونه كتب الحديث, أما رد الأحاديث كلها بحجة أنها تفيد الظن فهذا غلط كبير, لأننا قررنا أنها قد تفيد اليقين كما صرَّح بذلك علماء الحديث ومنهم الإمام ابن حجر في النُخبة.

وعمل المحدثين المتقدمين والأئمة المجتهدين أهل هذا الفنَّ شاهد بذلك فكما قلنا أن هذه المباحث لم تكن في زمانهم فإنهم كانوا يقبلون بالحديث الذي اطمأنت نفوسهم إلى صحته حسب القرائن والشروط التي وضعوها.

فالظَّن في حديث الآحاد مبني على اليقين أحيانا ومبني على غلبة الظن أحياناً أخرى لكونه يتوقف على الدليل العقلي في القرائن التي تحتف به, وليس هو كظن عُبَّاد الأصنام المبني على الهوى والجهل !

فالفرق بين الظن في الحديث وظن المشركين كالفرق بين من يدعو إلى الله على بصيرة وبين: مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ [الحج : 8]

وللعلم فإن حديث الآحاد ليس كما يظنه الكثير من أنَّه رواية شخص واحد !

وإليك مثالاً يوضح المراد: لِنَقُل أنَّ النبي ﷺ قال حديثاً فسمعه منه أبن عباس رضي الله عنه, ولكن بن عباس لم يحدث بهذا الحديث إلا بعد وفاته ﷺ فحدث به تلاميذه من التابعين, وكان عنده مئة تلميذ ! وكل تلميذ لما كبر صار عنده مئة تلميذ !

إذا الحديث انتقل من شخص إلى شخص إلى مئة شخص والمئة هؤلاء حدثوا به إلى مئة ألف نفس !

هذا حديث آحاد لأن طبقة من طبقاته – وهي طبقة الصحابة – ليس فيها العدد المتواتر, بل هو عند العلماء حديث فَرد غَريب, وقد يحدِّث بالحديث صحابيان أو ثلاثة وكل واحد يحدِّث عن رسول الله ﷺ هذا الحديث إلى عشرة وهؤلاء العشرة كل منهم يحدث بالحديث إلى عشرة فهذا الحديث أيضا يُسمى آحاد مع أن الرواة اثنان في طبقة الصحابة, فالآحاد لا يعني أنه من رواية الواحد **فهذه أخص صور الآحاد وهي نادرة جداً ولكنها موجودة** وإليك حديث أجمع العلماء على صحَّته ورواه الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحهما وغيرهم من العلماء الكثير[37]: إنما الأعمالُ بالنيةِ، وإنما لامرِئٍ ما نوى، فمَن كانت هجرتُه إلى اللهِ ورسولِه، فهجرتُه إلى اللهِ ورسولِه، ومَن كانتْ هجرتُه إلى دنيا يُصيبُها، أو امرأةٍ يتزوجُها، فهجرتُه إلى ما هاجَر إليه.

فهذا الحديث لم يره عن النبي ﷺ إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يروه عنه إلا علقمة بن وقاص الليثي ولم يروه عنه إلا محمد بن إبراهيم التيمي ولم يروه عنه إلا يحي بن سعيد الأنصاري وعنه انتشر الحديث ورواة عنه أكثر من مائتي نفس كلهم أئمة ولهذا يُسمى عند علماء الحديث – أي يحى بن سعيد – بمخرج الحديث.

وليس معنى هذا أن الناس كانوا يجهلون الحديث ؟ كلا, **فأولاً** الحديث هذا من أصول الدين ودل على معناه القرآن والسنة **ثانياً** ليس معنى عدم التحديث به عدم معرفته !

كما أنَّ هذا الحديث بلغ من الأهمية عند علماء الإسلام مبلغه, حتى قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ – شيخ البخاري – وَغَيْرُهُ[38]: يَنْبَغِي لِمَنْ صَنَّفَ كِتَابًا أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَنْبِيهًا لِلطَّالِبِ عَلَى تَصْحِيحِ النِّيَّةِ.

فهذا الحديث هو صورة واحدة من صور الآحاد, فمن الآحاد ما رواه صحابيان ومن الآحاد ما رواه ثلاثة ومنه ما رواه أربعة وأكثر ما لم يبلغ حد التواتر.

فإذا جائك راو ثقة من منطقة بعيدة حدثك بحديث ثم جائك شخص آخر ثقة أيضاً من منطقة أخرى لا صلة بينهما – استحضر زمانهم — وحدَّثك بنفس الحديث ثم ذهبت إلى شيخك التقي الورع والحافظ فأخرج لك كتاباً فيه الحديث هذا, والثلاث رووا لك الحديث بالسند المتصل إلى النبي ﷺ ثم اطلعت على السند فإذا به مثل الذهب أئمة حفاظ أثبات, وليس فيه أدنى علَّة, هل سيعتريك أدنى شك من أن هذا الحديث كذب ؟ كلا, فهذه القرائن تجعلك تتيقن بالخبر ! مع أنه آحاد !

[37] عمر بن الخطاب رضي الله عنه: صحيح البخاري (6689) صحيح مسلم (1907)
[38] الإمام النووي: شرح صحيح مسلم جـ 13 صـ 53

وأنت قد تطمئن لقول رجل واحد في حادثة معيَّنة لعلمك أنه صادق وليس من شيمته الكذب !
فلماذا يُنكر إذا حديث الآحاد ويُجعل مطية لإنكار السُنَّة ؟!

وإليكم هذه الطُرفَة فإن فيها لعبرة لألي الألباب: حيث أنَّ بعض طلبة العلم اختلفوا في مسألة علمية معينة فتراضوا أن يحتكموا إلى الإمام الشوكاني – رحمه الله – فعندما فتحوا المسألة التي ذكرها الشيخ قال أخيراً "وهذا حديث مُرسل" يقصد الشيخ أنه ضعيف لأنه حدث فيه سَقط لأحد الرواة مع الصحابي فلم يُذكرا في السند.
فقال قائلهم: هذه هي, الإمام الشوكاني يصحح الحديث ! فإنه قال عنه مُرسَل, أي: **مُرسل من عند الله !!!**

لذلك أعود وأكرر: لكي تفهم كلام العلماء عليك أن تفهم لغتهم, وكذلك القرآن عليك أن تفهمه وليس فقط بالإعتماد على اللغة العربية, فإننا نجد من يسمون أنفسهم بالقرآنيين يقولون: الخمر حلال والحجاب الذي ترتديه المرأة ليس فرضاً والزكاة ببذل المال غير واجبة ... إلى غير ذلك من الطامَّات, ويزعمون أن هذا الفهم الصحيح للقرآن !!

ثم فالتعلموا أنَّ علماء الحديث لكي يقبلوا برواية ما:

أولاً: لا يجب أن تخالف أصول الإسلام وقواعده.

ثانياً: لا يقبلون بالرواية إلا إذا كان سَند قائلها إلى النبي ﷺ متصلاً, أي أنه ثبت أنَّ الراوي قد سمع من شيخه, أو أنه أجازه, وشيخه معروف ولدينا ترجمته وهكذا إلى النبي ﷺ.

ثالثا: بعد ذلك ينظرون في سيرة هؤلاء الرجال فيطمئنون أولا لعدالتهم وأمانتهم وديانتهم ثم ينظرون في درجة حفظهم وتثبتهم – وقد يختبرون الناس بالحفظ – فإذا تأكدوا من اتصال السند ومن عدالة الرواة وضبطهم **يحكمون على ظاهر الحديث بالصحة.**

رابعاً: ثم بعد ذلك يجمعون طرق الحديث ثم يقابلون بينها – في علمٍ خاص يسمى علم العلل – فإذا اتفقت كان بها وإذا اختلفت نظروا إلى الأحفظ والأوثق وهناك الكثير من الضوابط فإذا تأكدوا من كل شيء يحكمون عليه بالصحة ويوجبون العمل به !

أرأيت مدى حرصهم على التثبت من صحة الحديث ؟ ثم إن كان في سند الحديث انقطاع من اوله من جهة الراوي ألفوا بذلك المؤلفات وسموه "المعلق" وإن كان الانقطاع من طرف السند لجهة النبي ﷺ ألفوا فيه المؤلفات وسموه "المرسل" وإن كان الانقطاع في أثناء الأسناد من الوسط ألفوا فيه المؤلفات وسموه "المنقطع" وإذا كان الانقطاع من راويين متتاليين ألفوا فيه المؤلفات وسموه "المعضل" ثم إن كان الراوي روى الحديث بصيغة توهم سماعه وليست صريحة بالكذب ولا بالسماع كقوله "قال فلان" ضبتوا حديثه وسموه "المدلس" وان كان هناك اختلاف في المتون الحديث الواحد ألفوا فيه المؤلفات وسموه "المضطرب" وإذا حدث قلب باسم الراوي فصار اسم راوٍ آخر ضبطوا ذلك وألفوا فيه المؤلفات وسموه "المقلوب" وإن وقع خطأ في اسم الراوي بزيادة نقطة أو نقصانها ضبطوا ذلك وسموه "المصحف والمحرف" وقد يطفق اسم محدثَين على نفس الاسم واحد ثقة والآخر ضعيف ضبطوا ذلك وسموه "المتفق والمفترق" وقد يتفق الراويان بنفس رسم الاسم ويختلفان في النطق ضبطوا ذلك وصَّنفوا فيه "المؤتلف والمفترق" وان اتفقا بأسمائهم واختلفوا بأسماء آبائهم فسموه "المتشابه" ثم قد يُذكر الراوي بغير اسمه مما هو من كنيته غير المشهور بها وقد ضبطوا ذلك وصنَّفوا فيه "الموضح[39]", ولو أنَّ الشيخ روى عن تلميذه يذكرون ذلك بمبحث "رواية الأكابر عن الأصاغر" وإن كان هناك وهم من أحد الرواة أو جهالة بالراوي أو أنَّ الراوي أدخل كلاماً في الحديث أو أنَّ الراوي روى حديثاً بسند حديث آخر أو أنه حدث خطأ في ذكر اسم الراوي فاشتبه راوٍ ضعيف براوٍ ثقة أو أو أو كل ذلك ألفوا فيه المؤلفات وجمعوا ذلك كله بل ميَّزوا بين الراوي قبل أن يختلط عليه ويسوء حفظه وبعد الاختلاط بل وضبطوا التدليس والمدلسين بل أن هناك بعض الضعفاء الزنادقة من كان له مئة لقب فضبط ذلك المحدثون وميزوا أحاديثه عن أحاديث غيره صيانة للسنة.

بل أن عملهم تعدى ذلك إلى العمل في مباحث جمالية لا يعلق بها حكم كحرصهم على العلو بالاسناد من خلال قلة الوسائط بينهم وبين النبي ﷺ أو أن هذا الراوي وصل إلى شيخ ذلك المصنف عن طريق آخر فيسموه "الموافقة" أو وصل إلى شيخ شيخه فيسموه "البدل" وهناك "المصافحة" و "المساواه" وهناك رواية "الأقران" و"المدبج" وهي أن يروي المحدث حديث عن آخر ثم هذا الآخر يروي حديث عنه, وقد اعتنوا بأسماء الرواة ووفياتهم وأحوالهم وبلدانهم والكنية التي يكنون بها وميزوا بين من اسمه ككنيته وبين من كنيته كاسم زوجته ومن نُسب إلى أبيه ومن نُسب إلى أمه ومن اتفق اسمه واسم أبيه وجده ومعرفة أسماء شيوخهم وأسماء اخوتهم وحتى معرفة حرفتهم وصنعتهم !

39 كتاب الموضح لأوهام الجمع والتفرق للخطيب البغدادي رحمه الله

ثم قد يُقال أن علماء الحديث يصححون الحديث ويضعفونه حسب أهوائهم أو كانوا يقبلون الحديث ممن وافقهم أما من خالفهم فيردون حديثه وهذا لا يخدم الإسلام وهذه طبيعة البشر !

قلت: وهذا تكهن أعمى يدعمه الجهل المدقِع ويروج له الحقد الشيطاني للمستشرقين من اليهود والنصارى !

وإليك ما يدحض هذا الإفتراء, كان هناك في الكوفة شخص اسمه عدي بن ثابت وهذا الشخص رافضي وكان قاص الشيعة فقد كان مشهوراً باختراع القصص على آل البيت رضوان الله عليهم.

ما رأيك: هل إذا روى هذا الشخص حديثاً فهل تعتقد أن علماء السُنَّة سيقبلون حديثه؟ بل سترى عجباً !

إنهم لم يرووا حديثاً عنه فقط بل رووا حديثاً يصب مباشرة في مدح سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه[40] بل والذي روى له الحديث الإمام مسلم صاحب الصحيح !

قال الإمام مسلم[41]: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَاللَّفْظُ لَهُ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ.

والإمام البخاري ألف كتابا سماه "خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل " يرد به على بدعوة شنيعة ظهرت في الإسلام, ونراه في الصحيح يذكر أحاديث عن طريق رواة متلبسين بهذه البدعة !

كل ذلك فقط لأن الحديث صحيح فلا يضر الخلاف المذهبي طالما الحديث ليس فيه طعنا بالدين وأمنوا من جانب الكذب على رسول الله ﷺ, وكل ذلك رعاية لجناب السنة ولمصلحة الدين ! فلا يجوز تعريضه للنزعات الطائفية !

وذلك أنَّ العلماء انطلقوا في بحثهم بالسُنَّة من مبدأ أن هذا دين وأن التوثيق مأمور به شرعاً, قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات : 6], وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً

[40] سيدنا علي رضي الله عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ورابع الخلفاء الراشدين المهديين ومناقبه كثيرة رضي الله عنه, وإن كان الشيعة يرون أن هذا الحديث يخدم توجههم فإن الحديث لا يطال سُنَّة بسوء لا من قريب ولا من بعيد فنحن نؤمن بموجب هذا الحديث أن لا يحب علي إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق !.

[41] صحيح مسلم (78)

تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً [النساء : 94] ومن نهي الرسول ﷺ عن الكذب عليه وتقريره أن الكذب عليه ليس كالكذب على أحد من الناس لأنه: مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ [النساء : 80] ووعيده لمن يكذب عليه بالنار.

فإذا علمت هذا فانظر إلى صدق الرواة في نقلهم لحديث النبي ﷺ !

- أبو هريرة رضي الله عنه ينسى أو لم يسمع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم فيأبى أن يقول برأيه !

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، قَالَ[42]: "سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أَبَيْتُ وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ"

- عمر بن سعيد يشك في كلمة سمعها عن حال النبي صلى الله عليه وسلم فيذكر ما يفيد ذلك !

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ[43]: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ - أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ - فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: العُلْبَةُ مِنَ الخَشَبِ، وَالرَّكْوَةُ مِنَ الأَدَمِ".

- إسحاق بن عبد الله يشك في خبر قاله النبي صلى الله عليه وسلم !

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ[44]: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ - وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي

[42] صحيح البخاري (4814), صحيح مسلم (141)
[43] صحيح البخاري (6510)
[44] صحيح البخاري (2788) (6282), صحيح مسلم (1912)

رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ: مِثْلَ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ "، شَكَّ إِسْحَاقُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهِمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» - كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»، فَرَكِبَتِ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ".

• البخاري يشك في كلمة قالها أبو هريرة رضي الله عنه فلا يتكلم من عنده !

أن خزاعة قتلوا رجلًا من بني ليث - عام فتح مكة - بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فركب راحلته فخطب، فقال[45]: "إن الله حبس عن مكة القتل، أو الفيل - شك أبو عبد الله - وسلط عليهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأُحُدٍ قبلي، ولم تحل لأُحُدٍ بعدي، ألا وإنها حلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام، لا يختلى شوكها، ولا يعضد شجرها، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد، فمن قتل فهو بخير النظرين : إما أن يعقُلْ، وإما أن يقاد أهل القتيل . فجاء رجلٌ من أهل اليمن فقال : اكتب لي يا رسولَ اللهِ، فقال : اكتبوا لأبي فلان . فقال رجلٌ من قريش : إلا الإذخر يا رسولَ اللهِ، فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا ؟ فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : إلا الإذخر إلا الإذخر".

ولذلك فإن علماء الحديث يعتنون بمسألة الإخلاص وإصابة الحق والسعي له وألفوا في ذلك المؤلفات في أخلاق الشيخ والتلميذ.

وإليك نموذج من أدبهم الجم حتى في رواية الحديث, فمصلحة الرواية تقتضي أن لا يُحابى أحد فيها مع أن الإمام مسلم ذكر في مقدمة صحيحه أن التكلم في الرواة جرحاً وتعديلاً ليس داخلاً في الغيبة المحرمة, إلا أننا نجد البخاري رحمه الله يقول[46]: "أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلاَ يحَاسبنِي أَنِّ اغتبتُ أَحَداً".

45 صحيح البخاري (112)
46 طبقات الحنابلة جـ1 صـ 276، تهذيب الكمال جـ 24 صـ 446

قال الإمام الذهبي[47]: " قُلْتُ: صَدَقَ -رَحِمَهُ اللهُ- وَمَن نظَرَ فَى كَلاَمِهِ فِي الجرحِ وَالتعديلِ عَلِمَ وَرعَهُ فِي الكَلاَمِ فِي النَّاسِ، وَإِنصَافَهُ فِيْمَنْ يُضَعِّفُهُ، فَإِنَّهُ أَكْثَر مَا يَقُوْلُ: مُنْكَرُ الحَدِيْثِ، سَكَتُوا عَنْهُ، فِيْهِ نظرٌ، وَنَحْو هَذَا.

وَقَلَّ أَنْ يَقُوْلَ: فُلاَنٌ كَذَّابٌ، أَوْ كَانَ يَضَعُ الحَدِيْثَ.

حَتَّى إِنَّهُ قَالَ: إِذَا قُلْتُ: فُلاَنٌ فِي حَدِيْثِهِ نَظَرٌ، فَهُوَ مُتَّهَمٌ وَاهٍ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: لاَ يُحَاسبُنِي اللهُ أَنِّي اغتبْتُ أَحداً، وَهَذَا هُوَ وَاللهِ غَايَةُ الوَرَعِ".

قلت: انظر إليه كيف يتكلم في شخص بكلام غيره فيقول فيه نظر, سكتو عنه, إبراءً لذمته !

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي حَاتِمٍ الوَرَّاقُ[48]: سَمِعْتُهُ - يَعْنِي: البُخَارِيَّ - يَقُوْلُ: لاَ يَكُوْنُ لِي خصمٌ فِي الآخِرَةِ

فَقُلْتُ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَنْقِمُونَ عَلَيْكَ فِي كِتَابِ (التَّارِيْخ) وَيَقُوْلُوْنَ: فِيْهِ اغتيَابُ النَّاسِ

فَقَالَ: إِنَّمَا روينا ذَلِكَ رِوَايَةً لَمْ نَقُلْهُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا (...) وسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: مَا اغتبْتُ أَحَداً قَطُّ مُنْذُ عَلِمتُ أَنَّ الغِيبَةَ تَضُرُّ أَهْلَهَا.

قال العراقي[49]: "فلان فيه نظر، وفلان سكتوا عنه: يقولهما البخاري فيمن تركوا حديثه".

ثم بعد كل هذا يأتي شخص لا يعلم شيء عما ذكرته ويقول لك: أنا لا أؤمن بحديث الرسول ﷺ لأن العلماء كذل وكذا أو كيف أطمئن أنه قاله؟

أقول: باب التعلم ليس حكراً على أحد, وإن كنت لا تجد الطاقة الكافية فيكفيك الثقة بآلاف العلماء الحفاظ المجتهدين الذين أفنوا أعمارهم وأنفقوا أموالهم في سبيل تمييز الصحيح من الضعيف من حديث رسول الله صل الله عليه وسلم, ولاحول ولا قوة إلا بالله !

47 سير أعلام النبلاء, الذهبي جـ 2 صـ 439 - 240

48 المصر السابق, جـ 2 صـ 441

49 التبصرة والتذكرة, العراقي جـ 1 صـ 377

التواتر العملي

لهذا فإذا سألتهم: يا من تنكرون السُنَّة كيف تطبقون فريضة الصلاة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها؟
قالوا: وجدنا آباءنا يصلونها هكذا عن آبائهم إلى النبي ﷺ.

وبهذه الطريقة استطاعوا اقناع انفسهم بعدم حاجتهم إلى السُنَّة, وادعاءهم هذا لا حجَّة لهم فيه بحمد لله وتوفيقه, وذلك لأمور:

أولاً: ليس النزاع في كيفية وصول طريقة الصلاة إلينا, إنما النزاع في أصل هذه الطريقة, فطالما أنها لم ترد في القرآن فهذا يعني أن النبي ﷺ قالها وأمر بها, فإن قالوا السُّنة غير واجبة, **قلنا**: **لكن تفاصيل الصلاة وردت بالتواتر العملي !**

ثانياً: يلزمكم من اعتقادكم بالتواتر العملي ما يلزمكم من انكاركم للسنة, فأنتم أنكرتم السنة لعدة أسباب منها عدم اعتقاد التشريع إلا لله وثبوته لغيره شرك, إذا ماذا تسمون التشريع الذي وردكم عبر التواتر العملي مما لم يرد بالقرآن ؟!

ثالثاً: الصلاة مثلا هي ليست أفعال يفعلها الإنسان بل هي أقوال يقولها أيضا في كل ركن من أركان الصلاة فلماذا أدخلتموها ضمن التواتر (العملي) ؟!

رابعاً: التواتر العملي الذي قصدتموه غير ثابت – من ناحية قبول الأخبار وردها – فقد يصدِّق أحدكم بأن الرسول ﷺ فعل فعلاً وهو محض افتراء عليه تناقله الناس أباً عن جد من غير إدراك لحقيقته, فهل يجوز العمل به !

فإنني في مرَّة من المرَّات اخترعت متناً, وقلت لأحدهم ما رأيك بهذا الحديث ؟ هل تصدق أن الرَّسول قاله ؟

قال: إنه يتماشى مع القرآن الكريم ولا يتعارض معه إذا أصدق أن الرسول قاله.
فاعترض عليه أحدهم وقال: طالما هذا الحديث هناك مثله بالقرآن فما الحاجة إليه[50] !

[50] ذكر العلماء أن ابليس اللعين يستخدم التدرج في إغواء ابن آدم فيبدأ معه مثلا بالتوهين من بعض العلماء, ثم يجعله يتعرض لعلماء المتقدمين, ثم ينكر علمهم وفضلهم, ثم ينكر السنة المخالفة للقرآن – بزعمه – ثم بهذه الحجة ينكر السنة الموافقة للقرآن ! ثم ...

فأجابه معترضاً: هذا الحديث يوافق القرآن ورده يُعتبر طعنا بالرسول !

فأجبته قائلًا: هذا الحديث من اختراعي أنا شخصياً وصغته بهذه الصيغة لأنبهك لأمرين:

الأمر الأول: أن ليس كل كلام حلو ومستقيم يصح أن ننسبه للنبي ﷺ فهو ليس كأي أحد منا !

فإنه رسول الله وتجب طاعته لله وطاعته من طاعة الله: مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [النساء : 80]

الأمر الآخر: يجب أن يكون هناك منهجية في التحقق من صحة الأقوال وإلا وقعنا من حيث نريد الإصلاح !

خامساً: إن ارتضيتم التواتر العملي فإننا نرضى بما صح من سُنَّة النبي ﷺ, وليس ذاك بالتشَّهي وإنما لأن السُنَّة حُفِظَت لنا عبر علوم جليلة وعظيمة, فعلم الجرح والتعديل وعلم الأنساب والتواريخ ومعرفة الصحيح والضعيف والمسلسل من المسانيد والأحاديث المعنعنه والمراسيل ومعرفة ما أدرجه الرواة في الحديث ومعرفة الصحابة ومراتبهم والتابعين وطبقاتهم كل ذلك مهم في التثبت من صحة الحديث, ولم يقتصر عمل المحدثين على ذلك بل ضبطوا المدلسين والزنادقة والوضاعين فعرفوا مداخلهم وما أحدثوه, وكذلك وضعوا مصنَّفات في الصحيح لوحده كالبخاري ومسلم والموضوع المكذوب لوحده كالموضوعات لابن الجوزي, بل إنَّ هذا الأمر مفروغ منه فإن عمل الأئمة الذي تميزوا به هو البحث عن أوهام الثقاة وكشفها وقد ضبطوها ضبطاً محكماً عبقرياً في علمٍ يُسمى علم العلل حتى ليخيل إليك أن العناية الإلهية كانت معهم في عملهم هذا !

إضافة إلى غير هذه العلوم – كما مر معنا — مما لم يسبق للبشرية أن وصلت لهذه الدرجة من التثبت من الأخبار التاريخية حتى أنَّ العالم النصراني استعملها في تاريخه[51]

وإليك نموذج عملي عن علمهم هذا: فإن هناك حديث مشهور جداً جداً وهو حديث في مُسند الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: يخرج عليكم الآن رجل من أهل الجنة ..إلخ

[51] هو كتاب مصطلح التاريخ, تأليف أسد رستم, أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقاً, وهو مسيحي تفرغ أخيراً لأخبار الكنسة الأرثوذكسية, انظر ص 67- 83.

هذا الحديث للوهلة الأولى ستحكم عليه بالصحة لأن رواة قمة في العدالة حتى حكم بعض المعاصرين على هذا الحديث أنَّه على شرط الشيخين[52] يعني وثوقته وصلت إلى أنه من درجة أحاديث الصحيحين بالقوة, وذلك لأن السند هذا هناك مثله في الصحيح !

ومع ذلك فإنه حديث معلول غير مقبول, لماذا؟ بحثنا في كلام العلماء حول هذا الحديث واتكشفنا أن الإمام الكبير الحافظ أبو الحسن الدارقُطنِي قال: أن من روى هذا الحديث عن الزُهرِي واحد من كبار تلامذته وعندما روى الحديث قال – أي الزُهري – **حُدِّثتُ عَن أنس**. إذا الزُهري لم يسمع من أنس بن مالك هذا الحديث, وبالتالي فإن الحديث مُرسَل[53], إذا فهو ضعيف غير مقبول

أرأيت مدى دقَّة العلماء في تتبع الأثار وفحصها؟
بل إن ثقتهم بعلمهم هذا بلغت كُلَّ مَبلَغٍ فهذا الرشيد يأخذ زنديقاً ليقتله, فقال: أين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله قال: وأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها فيخرجانها حرفاً حرفاً[54]. فالحمد لله رب العالمين

سادساً: ألم يتواتر أيضاً عن الآباء والأجداد أن سُنَّة النبي ﷺ وحيُ إلهي ! فلماذا رفضتم ذلك ؟

سابعاً: لماذا لا تردون التواتر العملي لأنه مبني على الظن في أن ما ينقله لكم آباءكم هو ما فعله النبي ﷺ, كما رددتم سُنَّة النبي ﷺ التي نُقلت إلينا بحجة أنها تفيد الظن ؟!

ثامناً: نحن لا نقبل من الراوي حديثاً إلا إذا كان عدلاً مأموناً "ثقة" وأنتم تقبلون التواتر العملي ولو وقع من مجموعة آباء فُسَّاق !

تاسعاً: نحن إنما اتبعنا سلفنا الصالح دون غيرهم وذلك لعدة وجوه:

الوجه الأول: أنهم أبرُّ الناس قلوباً وأقربهم من عصر النبوة والتنزيل, وأعلمهم بلغته الأم !

الوجه الثاني: أن علومهم كانت صافية نقية وقد تمخضت العلوم على أيديهم وقُعِّدَت مسائلها

---

[52] أي أن سلسلة رواة هذا الحديث هناك نفسها في صحيح البخاري ومسلم, لا أن رواه هذا الحديث هم رجال البخاري ومسلم. تنبه لهذا !

[53] التعريف الدقيق للمرسل هو ما رفعه التابعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, ولكن عملياً نجد أن العلماء المتقدمين استعملوا المرسل لمطلق الإنقطاع سواء كان بين التابعي والنبي أو بين التابعي والصحابي بل بين التابعين أنفسهم, ودونك كتاب المراسيل لإبن أبي حاتم الرازي رحمه الله.

[54] تاريخ الإسلام: الذهبي, جـ 12 صـ 58

الوجه الثالث: أننا إنما قبلنا كلام الثقة من الرواة في تلك العصور وليس أي شخص كان ! فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنعام : 81]

الوجه الرابع: الفرق بين اتباعنا للسلف الصالح واتباعكم للتواتر العملي هو الدليل !

فإننا نتخذ من علومهم ما بينوه بالدليل الصحيح سليم المقدمات والمتسق مع أصول الإسلام, وأما أتباع التواتر العملي المبتدَع فقد يصدق أحدهم أن رسول الله ﷺ فعل فعلاً, ويكون غير صحيح ولكن يقبلونه لأنه ورد بالتواتر العملي أباً عن جد دون مراعاة لأي شرط من شروط التثبت **حتى تلك التي يمارسها الإنسان في حياته الخاصَّة !**

قال تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ [المائدة : 104]

وأخيراً: إن ما يعتقده مُنكروا السنة ديناً قد أفرد له علماؤنا مؤلفات تحت اسم "أخطاء المصلين" فيا للعجب !

وبالمناسبة: من قرائن رد الحديث عند العلماء هو أن يكون مخالفاً للقرآن فعلاً وليس وهماً كما هو شأن المنكرين.

الله تكفل بحفظ القرآن

ثم وقد يقول قائل: القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله, لقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر : 9] بينما السُنَّة فغير محفوظة إضافة إلى ما دخلها من الأحاديث المكذوبة التي دُسَّت في السُنَّة, فنأخذ الصحيح الثابت ونترك المشكوك فيه, كما أن الرَّسول أمر بكتابة القرآن وعدم كتابة السُنَّة.

قلنا: أمَّا قولكم أن الله حفظ القرآن فقط فهو حُجَّة عليكم لا لكم, فقد ثبت أن الكُتُب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل وغيرها لم يحفظها الله عزَّ وجلَّ وأوكل ذلك إلى الملأ من كل أُمَّة: إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة : 44] ومع ذلك فقد أمر بالإحتكام إليها والعمل بها, قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً [النساء : 64]

بل وثبت وقوع التحريف في تلك الكتب, ومع ذلك فقد أمر الله أهلها بالإحتكام إلى ما لم يُحَرَّف منها, قال تعالى: وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [المائدة : 47] وذلك في صفة النبي ﷺ.

وقال تعالى: وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ [المائدة : 43] وذلك في مسألة الرَّجم.

بل وأمر أتباع الكتاب الغير محفوظ باتباع كتاب آخر غير مفحوظ أيضاً وهكذا يصدق كل نبي النبي الذي بعده حتى ختمهم الله بمحمد ﷺ, قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران : 81]

كما أن التحريف نوعان: تحريف للكلمات وتحريف للمعاني وهو التأويل المذموم.

لذلك فإن ففظ القرآن الكريم يقتضي حفظ سُنَّة النبي ﷺ العاصمة من تحريف المعاني, فلا عبرة بحفظ المبنى دون المعنى ! كما يقتضي بحفظ اللغة العربية بقواعدها وأصولها ! ويقتضي أيضاً حفظ الأمة المسلمة الحقَّة !

ثانياً: الكتب السابقة مُتَيَقن من تحريفها والسُنَّة مشكوك في صحتها – حسب قولهم – فإذا كان الأمر باتباع الكتب السابقة واجب على الأمم فوجوب اتباع السُنَّة أولى ! **إذاً دليل عدم الحفظ – إن صح – ليس حُجَّة على تركها وإهمالها !**

كما أن السُنَّة –كما بيَّنا سابقاً – حُفِظَت بعلم الحديث الجليل.

ثم ليست العبرة بدخول ما ليس من كلام النبي ﷺ في السُنَّة في الدلالة على عدم حجيَّتها, بل لكي نصل إلى هذه النتيجة لا بُدَّ من المرور بمقدمة متى ما تحققت خلصنا إلى نتيجتنا, وطالما أنَّ هذه المقدمة غير متحققة في الواقع إذا القفذ إلى النتيجة يُعَدُّ أمراً منافيًا لإرادة الحق والسعي له !

أما المقدمة فهي: بما أن السُنَّة لم يتكفل الله بحفظها, وبما أنها دخلها المكذوب من الأخبار والأحكام, **وبما أننا لم نعد نميز حديث النبي ﷺ من حديث غيره**, إذاً السُنَّة ليست ملزمة الإتباع إذ لو كانت ملزمة الإتباع لحفظها الله !

بينما نجد – كما أشرنا سابقا – أنَّ السُنَّة قد ضُبِطَت وحُفِظَت ودُوِّنَت في الملجدات فمن لم تطمئن نفسه لسُنَّة النبي ﷺ عليه أن يتعلم علم الحديث ليعي متانة حفظَها أو أن يكل الأمر لأهل الإختصاص ويظن بالمسلمين خيراً !

ثم إن معيار الأمان في الدولة ما ليس متوقف على وجود الجرائم فيها من عدمه بل متوقف على مدى قدرة الدولة وسيطرة نفوذها في أنحاء الدولة ومدى ضبطها للحالات الشاذَّة.

وهذا ما حدث تماما بالسُنَّة, بل أقول لكم أمراً: كم دين يوجد على وجه الأرض ؟ كم إله يُعبَد ويُعتَقَد أنه الإله الحق ؟ هل تعلم أن بعض الناس أصبح لاديني او مُلحِد بظنه ان تعدد الأديان والآلهة يورث البية وعدم التثبت إطلاقاً ! هذا تماماً هو ما يُقال في السُنَّة !

أمَّا أمره بعدم كتابته فليس فيه دلالة على عدم حُجِيَّتها, لأنَّه قد أمر بتبليغها للناس وهذا متواتر ومستفيض ومعلوم ضرورة عند العلماء.

لهذا فقد سلك اعلماء مسالك في التوفيق بين حديث النهي عن الكتابة وبين الأحاديث الآمرة بالتبليغ مع أنَّها أقوى من جهة الثبوت !

ومسلك التوفيق بين النصوص مسلم شرعي عقلي وذلك أنَّ الكلام إما واضح المحكم أو متشابه, فالواجب رد المتشابه إلى المحكم بتأويله ليتسق مع المحكم, قال تعالى: هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ [آل عمران : 7]

فوصف الله الآيات المحكمات أنهن أُمُّ الكتاب, وما ذاك إلا لاستقرار الأحكام إليها ورجوعا إليها عند الإختلاف, وإلا ضربنا آيات الكتاب بعضها ببعض !

لذلك فحديث النهي عن الكتابة يحتمل عدة معاني وأحاديث الآمرة بالتبليغ معناها واضح مُحكَم, فوجب الأخذ بالمعاني المتوافقة مع المحكم.

وعليه فإن حديث النهي عن الكتابة كان أول الأمر مخافة أن يختلط القرآن بالسُنَّة فيلتبس أمره على الصحابة, وخاصة أنَّهم اختلفوا في الأحرف التي نزل عليها القرآن فاختلافهم باختلاط السنة بالقرآن سيكون أكبر, وليس كما زعموا !

ومن ذلك الأحاديث القدسية فإنها في روحانياتها والكلام المباشر من الله قد يشكل على البعض بأنها قرآن كمثال حديث[55] "يا عبادي ! إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّمًا . فلا تظَّالموا . يا عبادي ! كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه . فاستهدوني أَهْدِكم . يا عبادي ! كلكم جائعٌ إلا من أطعمتُه . فاستطعموني أُطعمكم . يا عبادي ! كلكم عارٍ إلا من كسوتُه . فاستكسوني أكْسُكُم . يا عبادي ! إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا . فاستغفروني أغفرُ لكم . يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني . ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني . يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنْسَكم وجِنَّكم . كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم . ما زاد ذلك في ملكي شيئًا . يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكم وآخركم . وإنْسَكم وجِنَّكم . كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ . ما نقص ذلك من ملكي شيئًا . يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم . وإنسَكم وجِنَّكم . قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني . فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألتَه . ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ إذا

[55] أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: صحيح مسلم (2577)

أُدْخِلَ البحرَ . يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم . ثم أوفِّيكم إياها . فمن وجد خيرًا فليحمدِ اللهَ . ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسَه"

ومن المعلوم أن جمع القرآن كان بعد وفاة النبي ﷺ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه, فلو أردنا الجدال لقلنا: طالما اتخذتم من عدم كتابة السنة حُجَّة على تركها فنأخذ من عدم جمع القرآن في عهد النبي حُجَّة على تركه !

فكما دعت الحاجة إلى جمع القرآن في عهد أبي بكر مخافة ضياع شيء منه وفي عهد عثمان مخافة افتتان الناس باختلاف الأحرف, كذلك كان الداعي لكتابة السُنَّة هو خوف دُرُوس العلم.

ثم ان عدم كتابة السُنَّة شيء وعدم الاعتبار بها شيء آخر فإن السلف اعتنوا بالسُنَّة زمن النبي ﷺ وبعده كتابة وتبليغاً

وقد يقول قائل: لماذا ينهى النبي ﷺ عن كتابة السُنَّة والقرآن محفوظ من أن يُزاد فيه وأن يُنقص مِنه ؟!

وللإجابة نقول: كما تعلم وكما قررنا سابقاً أنَّ الكتب السابقة لم يحفظها الله بنفسه, وبالتالي فهل تملك دليلاً على أنَّ هذا الحديث قاله الرسول ﷺ بعد نزول آية الحفظ ؟ إذاً إحتياط النبي ﷺ وارد ولا غبار عليه !
بل إنه قد ثبت نهيه عن السفر بالقرآن إلى العدو مخافة من النيل منه[56], فهل يخاف مما حفظه الله !
ثم, نعم حفظ الله القرآن بنفسه ولكن **قيّد لذلك** أُناس أفنَوا أعمارهم لتحقيق هذا الحِفظ, فنحن نتوكل على الله ومع ذلك نأخذ بالأسباب والنبي ﷺ يعلم تماماً أنَّ الله عاصمه من الناس ومع ذلك ظل يرتدي عدة الحرب والسابغات[57] !

ولو حاكمناهم إلى اجتهادهم هذا نقول: لماذا ينهى النبي ﷺ فيما تواتر عنه – كما سيمر معنا – عن الكذب عليه, وظلَّ يحذر من ذلك حتى نهى عن ذلك في حجَّة الوداع[58] !
أليس القرآن محفوظ ولا يستطيع أحد الكذب ؟ هل يتوعد النبي ﷺ الناس على أمر مستحيل الحدوث ؟ أم أنَّه يقصد أمراً آخر !

---

[56] عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: صحيح مسلم (1869)
[57] قال تعالى: أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [سبأ : 11], ومعنى سابغات: أي الدروع الساترة لجميع الجسم.
[58] شرح مشكل الآثار, الطحاوي جـ 1صـ 266, ذكره أبو موسى الغفاري رضي الله عنه.

الخاتمة

ثم ولتعلم وفقني الله وإياك إلى الحق أنَّ المنكر لسُنَّة النبي ﷺ على خطر عظيم فإن الله قد أمر بطاعه رسوله في أكثر من أربعين موضعاً في القرآن الكريم, ومما قاله الرسول[59] "لا أُلفِيَنَّ أحدكم مُتكئاً على أريكتِه يأتيه الأمر مِمَّا أمرتُ بِه أو نَهيتُ عنهُ فيقولُ لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه", وفي رواية[60] "ألا إني أوتيت القرآن ومثله[61] معه", وفي رواية أخرى[62] "إن ما حرَّم رسول الله كما حرَّم الله", واقرأ إن شئت: مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [النساء : 80]

وقال لنبيه: بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل : 44]

والله ما بعث رسله إلا لِيُطاعوا بإذن الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً [النساء : 64]

وقال ﷻ: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ [البقرة : 151] فإن لم تكن هي السنة فما هي ؟

قال ﷻ: فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [البقرة : 251]

فالمقصود بالحكمة هي الطريقة الحسنة في التعامل مع فقه الواقع من فصل بالنزاعات وغيرها, فهي العلم الذي آتاه الله إياه وابنه سليمان: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء : 79]

فهل بعد هذا البيان القرآني من شك في أن السُنَّة وحيٌ إلهيٌ قد امتَنَّ الله بها على العباد؟

[59] رواه ابن ماجة 6/1 رقم 13, أبو داود 610/2 رقم 4605, الترمذي 37/5 رقم 2663, قال الشيخ الألباني: صحيح
[60] أبو داود 610/2 رقم 4604, قال الألباني: صحيح, أخرجه الإمام أحمد في مسنده (17174)
[61] المقصود بالمثلية هنا مثلية التشريع لا مثلية جنس الكلام فالفرق بين القرآن والحديث كالفرق بين الخالق والمخلوق.
[62] الترمذي 38/5 رقم 2664, ابن ماجة 6/1 رقم 12, قال الألباني:صحيح

وانظر أخي الحبيب إلى قَبَص من تعاملات الصحابة الكرام مع كلام النبي ﷺ, فبينما كان رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يسارع, فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم, فلما قضى صلاته قال: ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟ قالوا: رأيناك ألقيت نعليك, فقال: إن جبريل أخبرني أن فيهما قدراً[63]

وأخيرا كما أتى في القاعدة الشرعية المنطقية أنَّ الحُكمَ على الشيء فرعُ عَن تصورِه, لذلك فإنني أدعوك للإستزادة من كلام العلماء في تقدير مصادر الإسلام لترى أنَّ هذا يتسق مع الرحمة لا الشرك !

وأن عمل العلماء في توثيق السُنَّة النبوية بلغ العلا, إذ أنَّ طريقة العلماء هي أضبط طريقة تُعرَف بها صحة الأقوال التاريخية, فأحاديث الأمر بوجوب طاعته متواترة وأحاديث النهي عن الكذب عليه متواترة وأحاديث الأمر بتبليغ ما تكلم به متواترة وكل ذلك متواترٌ[64] فقد تعددت ألفاظ الأحاديث ومعناها واحد, فمثل هذا إنكاره يُعَدُّ من قبيل مشاققة الرسول: وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً [النساء : 115] والله سبحانه: لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا[البقرة : 286]

قال ﷺ [65] "بلِّغوا عنِّي ولو آيةً وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرَجَ ومَن كذَب علَيَّ متعمِّدًا فلْيتبوَّأْ مَقعَدَه مِن النَّارِ".

وقال ﷺ [66] "لا تكذِبوا علَيَّ فإنه مَن يكذِبُ علَيَّ يلجِ النارَ".

وقال ﷺ [67] "إنَّ كذبًا عليَّ ليس ككذِبٍ على أَحَدٍ ، من كذبَ عليَّ متعمدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النارِ".

وغييرها من الطرق.. وكما قلت سابقا أن هذا التقسيم ليس حاضراً عند علماء الحديث المتقدمين إنما أُحدث بعد ذلك فالمتواتر لا تظن أنهم يقصدون به ما تواتر باللفظ فقط بل هناك التواتر المعنوي وهو ما تواتر بالمعنى عن النبي ﷺ هذا في كثير جدا من المسائل التي ينكرها البعض بحجة أنها آحاد!

---

[63] حديث حسن, أخرجه أبو داود في سننه (175/1): قال الألباني صحيح, وابن خزيمة في صحيحه (107/2)
[64] رواه أكثر من سبعين صحابي وهو متواتر لفظاً ومعنىً.
[65] عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: صحيح البخاري (3461)
[66] علي بن أبي طالب رضي الله عنه: صحيح البخاري (106) , مقدمة صحيح مسلم
[67] المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: صحيح البخاري (1291) , صحيح مسلم في المقدمة

مثلا ينكرون أحاديث خروج المسيح الدجال آخر الزمان ولا يعلمون أن هذا الحديث فقط في صحيح البخاري ومسلم مروي عن أكثر من عشرين صحابي؟ إلى عدد كبير من الناس فطرق الحديث أكثر من مئة طريق ثم يقولون لك لا نصدق به ؟ فهو متواتر معنويا فجميع الأحاديث معناها يصب في خروج المسيح الدجال؟

إذا ليست القضية قضية الخوف على الدين بل القضية هدم الدين بإنكار الأحاديث كلها !

فالفرق بين المتكلمين الأوائل وبين المعاصرين أن الأوائل كان هدفهم الذَّب عن الدين ورد كيد الطاعنين به فسوَّلت لهم الشبهات رد بعض الأحاديث أما هؤلاء فهدفهم الطعن بالدين واتخذوا كلام الطوائف المنحرفة مطية لذلك بل ويذكرون كلامهم على أنه من تراث المسلمين ليلزموا به من يشنِّع عليهم مقولتهم !

ثم رحمك الله تعالى لا تتردد في سؤال أهل العلم إن كنت قد تأثرت ببعض الشُبُهات[68], قالﷻ: فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [النحل : 43]

وانظر أخي الحبيب إلى قوله تعالى: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [النور : 51]
فهل أنت من المؤمنين !

وأخيراً اسألك سؤالاً: هل تؤمن أن الله حكيمٌ عليم ؟

لن انتظر إجابتك لأنني أعلمها تماماً, إذا هل تعلم أن من يُنكِر سُنَّة النبي ﷺ لازم قوله أنه لم يوجد رجلٌ قط في تاريخ البشرية نُسِبَت إليه أقوالاً ينسبها إلى الله عز وجل كما نُسِبَ للنبي ﷺ ؟

ومع ذلك فإننا نرى القرآن الكريم أمر بطاعه رسوله وحذر من مخالفته ورتب الكفر على بعض المخالفات وأخبر أن طاعة رسوله تورث محبة الله ومعصية رسوله تورث الضلال المبين !

بل قال: مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [النساء : 80]

هل تفكَّرت بهذا الكلام ؟

---

[68] إليك بعض الكُتُب التي عالجت وناقشت شبهات المستشرقين ومنكري السنة حول سنة النبي صلى الله عليه وسلم: http://goo.gl/OIUuaf

نسب للنبي ﷺ آلاف الأحاديث الملزمة الاتباع, وأتى في القرآن الكريم عشرات الأيات الآمرة بطاعة الرسول, ومع ذلك فمشرع القرآن عليم حكيم !

أنا أعتقد أن حكمة الله تقتضي أنَّ السُنَّة لو لم تكن وحياً إلهياً لبيَّن لنا في القرآن الكريم بطلانها لا أن أمر أمراً مطلقاً عاماً بطاعة الرسول !

بل وطمأن المؤمنين في ذلك فقال: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم : 4]

وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمِين

~¤¢§{(¯´°•.المصادر والمراجع .•°`¯)}§¢¤~

كتب الوحي

• **القرآن الكريم**: كلام الله تعالى غير مخلوق المنزَّل على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المتحدى به المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس.

• **صحيح البخاري** (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي, تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر, دار طوق النجاة, الطبعة: الأولى، 1422هـ, عدد الأجزاء: 9

• **صحيح مسلم** (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ), المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, عدد الأجزاء: 5

• **المسند**: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند, الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, عام النشر: 1400 هـ

• **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ), المحقق: كمال يوسف الحوت, الناشر: مكتبة الرشد – الرياض, الطبعة: الأولى، 1409, عدد الأجزاء: 7

• **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ), المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من 1 إلى 9) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من 10 إلى 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18), الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة, الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م), عدد الأجزاء: 18

- **الجامع**: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: 153هـ), المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي, الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت, الطبعة: الثانية، 1403 هـ, عدد الأجزاء: 2 (الأجزاء 10، 11 من المصنف)
- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ), الناشر: المكتب الإسلامي, عدد الأجزاء: 2
- **سنن بن ماجه**: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ), تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي, عدد الأجزاء: 2
- **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ), المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد, الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت, عدد الأجزاء: 4
- **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5), الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر, الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م, عدد الأجزاء: 5 أجزاء
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ), المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون, إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
- **صحيح ابن خزيمة**: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ), المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي, الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت, عدد الأجزاء: 4

كتب التفسير

• **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): المحقق: سامي بن محمد سلامة, الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م, عدد الأجزاء: 8

• **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ), المحقق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م, عدد الأجزاء: 24

• **أحكام القرآن**: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ), راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا, الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م, عدد الأجزاء:4

• **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ), المحقق: صفوان عدنان الداودي, الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت, الطبعة: الأولى - 1412 هـ

• **التفسير الميسر**: نخبة من أساتذة التفسير, الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية, الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ - 2009 م

• **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي, رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي, قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب, عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز, الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379, عدد الأجزاء: 13

• **تأويل مختلف الحديث**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ), الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق, الطبعة: الطبعة الثانية-مزيده ومنقحة 1419هـ - 1999م

• **المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ), الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, الطبعة: الثانية، 1392, عدد الأجزاء: 18 (في 9 مجلدات)

• **شرح مشكل الآثار**: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ), تحقيق: شعيب الأرنؤوط, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1494 م, عدد الأجزاء: 16 (15 وجزء للفهارس)

• نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين (المتوفى : 852هـ), المحقق: عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سبر, الناشر: دار ابن حزم, سنة النشر: 1427 – 2006, نبذة عن الكتاب: ومعه: ثمرات النظر في علم الأثر – قصب السكر نظم نخبة الفكر – إسبال المطر على قصب السكر.

كتب منوعة

• **البداية في العقيدة:** وحيد بن عبد السلام بن بالي حفظه الله

• **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن:** أبو الحسن علي الحسني الندوي, الناشر: الدار السعودية للنشر, 1387 – 1967, الطبعة الثالثة

• **كشف حقيقة القرآنيين منكري السنة المتلاعبين بالقرآن والرد عليهم:** أحمد مجاهد الشيباني لتحميل الكتاب: http://goo.gl/C9bFtX

• **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي:** مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ), الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت – لبنان, الطبعة: الثالثة، 1402 هـ - 1982 م (بيروت)

• **مصطلح التاريخ:** أسد رستم, الطبعة الثانية, نشر المكتبة العصرية في صيدا.

• **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي, دار النشر: دار الكتاب العربي, مكان النشر: لبنان/ بيروت, سنة النشر: 1407هـ - 1987م, الطبعة: الأولى, تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

• **الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء:** أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ), الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: 873هـ), الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع, عام النشر: 1409 هـ - 1988 م, عدد الأجزاء: 2

• **شرح ألفية العراقي المسماه التبصرة والتذكرة:** أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ), المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل, الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان, الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002 م, عدد الأجزاء: 2

• **طبقات الحنابلة:** أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526هـ), المحقق: محمد حامد الفقي, الناشر: دار المعرفة – بيروت, عدد الأجزاء: 2

• **تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: 742هـ), المحقق: د. بشار عواد معروف, الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، 1400 – 1980, عدد الأجزاء: 35

• **سير أعلام النبلاء:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ), المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الثالثة ، 1405 هـ/ 1985 م, عدد الأجزاء: 25 (23 ومجلدان فهارس)

• **Islam In History**: Bernard Lewis, 1993, Open Court Publishing.

• **The Isnad in Muslim Tradition**: robson

~¤¢§{(¯´°•. فهرست المحتويات .•°`¯)}§¢¤~